

شارك اتحاد الكتاب التونسيين بوفد متكوّن من الاخوة محمد القاضي وحياء  
الرئيس ومحمد الصادق عبد اللطيف والخموسي الحناشي في ندوة وحدة  
الثقافة العربية التي نظمتها الامانة العامة بالاتحاد العام للادباء العرب بالأردن  
وأثناء رحلة الوفد التونسي مع وفد اليمن إلى البتراء كتب هذا القصيد فوافانا  
به الأستاذ محمد الصادق عبد اللطيف هدية من الشاعر اسماعيل الوريث  
لقراء الإتحاف ، فله الشكر وجميل التحية .

## «بتراء»

شعر : اسماعيل الوريث ( اليمن )

فجأة تشهد الحلم اسطورة علقت في الجبال  
دهشة من تذكر ما قد مضى  
<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>  
تثبت بالصخر تفتح أزراها لرياح الزمان العواتي

تمثل فيها المكان شجي

شجنا يتربع فوق المحال

\* \* \*

امتطى مهرتي

داخلاً في متاهاتها الساحرات

تضيّق الطريقُ تضيقُ

ليتسع الشوق

ينفرج الدرب عن ساحة للفتون ،  
يحوطها عدمٌ كالوجود  
يفوح شذاها المعطر بالزهو ،  
حيث الملوك الألى بتروا المجد واستوطنوه  
نأى بهم الخوفُ عن باطن الأرض  
فاقترشوا الصخر مثل النور ،  
تؤججهم لوعةٌ  
وتفيض بهم غربة  
نتشوا في الجبال معالم رحلتهم  
حفروا بالتوجع أسماءهم  
ثم ذابوا عظاما ولحماً مع الصخر  
ذابوا ليصبح للصخر لون تذكّره  
وتصبح ملائحتهم في الجبال التي وردتها دماؤها المشرعه  
لليمانيين غربتُهم وحدهم  
فهى الزاد والماء  
في كلّ أونة يتفجرُ سدٌّ بأهاتهم  
فالترحل بعض مواجدهم  
تركوا في الطريق إليها سمات توهجهم  
خانهم رملٌ مارب والأقربون

فكان الصعود إلى العقبات يخفف أحزانهم

عبروا

إنما في الطريق الطويل بقايا من حاتم

ووشاحات أعراسهم

وشذى الغربة المرّ ينشر أيامهم

قصة في الغيافي البعيدة

والطرق المنتقاة

\* \* \*

أدخل الآن ، بتراء ، ملتحفاً ظلهم

كلما التحمت مهرتي بهواجها ، والبيوت نجومٌ معلقةٌ

أتذكر أنني رحلت إليها ويرجعني زمني للزمان الملق فوق رباها

\* \* \*

لماذا يغرد قلبي كعصفورة في الربيع ؟

لماذا أحسّ امتداد الصخور ارتعاشا بكل كياني ؟

لماذا يمضي خدرٌ لاهبٌ فأضمّ جوانبها نحو صدري وابكي

لماذا ؟

أعرف الدير

كانت طقوسي تقامُ هنا

وعلى شرفة الدير شدة ملكي

إذا سرت في سرب خيل تميل الجبالُ الرواسي  
وفي كلِّ ناحية من شماريخها صولتي  
أتذكرُ

نمت هنا

وصحوت هنا

وشربتُ على صوتِ جارية طفلةً

وحرب الجيوش هنا

أتذكرُ

إني رجعت إلى عالم حافل بالأسى

ARCHIVE

بهجة لا يفارقها الدمع

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

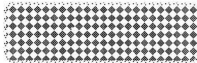
>> براء >> تسكنني وطننا

وتسافر في تعبني

وكما صرت في فمها صرخة

لبتني

فصارت أنا





# "موقع الجمعيات الثقافية ضمن المشروع الثقافي للعهد الجديد" (\*)

بقلم : أبو بكر بن فرج

سيداتي سادتي

لا بد أن أعبر في بداية هذه المداخلة عن عظيم إعترازي بالدعوة التي تفضلت الهيئة  
المديرة لمجلة الإتحاف بتوجيهها إليّ لأشارك هذا الجمع الكريم من رجال الأدب  
والفن والفكر في هذا اللقاء السنوي الذي دأبت هذه المجلة العزيزة على تنظيمه .

هذا اللقاء الذي أصبح تقليدا ووجها آخر من أوجه إشعاع هذه المجلة وإسهامها  
في إثراء الحياة الفكرية والأدبية ببلادنا .

إن إختياركم لموقع الجمعيات الثقافية ضمن المشروع الثقافي للعهد الجديد  
كمحور للدرس يترجم عن إدراك لأهمية هذا الموضوع بالنسبة إلى واقع العمل  
الثقافي ببلادنا ومستقبله ، خصوصا وقد فتح اليوم المجال رحبا لكافة القوى الحية  
للمشاركة - إلى جانب الدولة - في تجسيم النهضة الشاملة في جميع مجالاتها وفي  
المجال الثقافي بوجه خاص .

سيداتي سادتي

إن من المقولات ما يرتفع إلى مرتبة الأثر الخالد يمر الزمان ويبقى شاهدا ينير  
سبيل الشعوب والأجيال نحو غاياتها .

وإنني أختار شخصا من ضمن أدبياتنا السياسية المعاصرة - ولا أخالكُم  
تخالفونني الرأي - الجملة التالية التي وردت ضمن مقدمة البيان فجر

---

(\*) نص المحاضرة القيمة التي أقيمت ضمن أشغال ملتقى الإتحاف السنوي يوم 17 جويلية 94)

السابع من نوفمبر 1987 .

" إن شعبنا بلغ من الوعي والنضج ما يسمح لكل أبنائه بالمشاركة البناءة في تصريف شؤونه " (1) .

اختارها لأنها شكّلت منطلقا فكريا لتحول نوعي حقيقي في تاريخ بلادنا المعاصرة . أفردت شخصا هذه الجملة لأنها ليست من صنف الشعارات السياسية الظرفية التي تعلن لترضية الخواطر ودغدغة المشاعر إنما هي تعبير عن موقف فكري وإدراك سياسي عميق وإيمان صادق بأن المرحلة الجديدة من حياة وطننا تقتضي مشاركة المواطن ، لا في تحديد ملامح مشروعنا الحضاري وضبط إختياراته فحسب ، وإنما وخصوصا مشاركته الفعلية في تجسيد هذا المشروع على أرض الواقع في إطار مجتمع ديمقراطي يؤمن حق الأفراد والمجموعات في المشاركة بل يرفعها إلى منزلة الواجب الأخلاقي والإلتزام الوطني . فالديمقراطية تصبح من هذا المنطلق قيمة شاملة لا يقتصر مجالها على الفضاءات السياسية بل يتعداها إلى ممارسة إجتماعية مستمرة ، وعقلية جديدة ووعي بحقيقة المواطنة ومقتضياتها ضمن المجتمع المدني

<http://Archive>

### العهد الجديد والمشروع الثقافي :

إن المد الإصلاحي الذي تشهده مختلف أوجه الحياة في بلادنا منذ تحول السابع من نوفمبر 1987 والذي استعاد الشعب التونسي بفضل الثقة في قدراته على كسب رهان التقدم والرقي الحضاري وفرض مكانته بين شعوب العالم ، يستمد قدرا كبيرا من سنده وقوة دفعه من أعماق حضارة شعبنا ومن بذور كريمة زرعها في هذه الأرض أجيال متتالية من رواد الإصلاح التونسيين . رواد مهدوا بفكرهم النير منذ القرن التاسع عشر سبيل النهضة ، وفتحوا بصائر شعبنا ليدرك أن لا سبيل إلى التقدم والرقي والحضارة إلا بمسك ناصية المعارف والعلوم ، والإضافة وتجاوز الكائن ، ومواكبة مستلزمات العصر والحدائق والقطع مع الجمود والإنغلاق على الذات .

إن هذا السند الفكري والثقافي يتجلى في ما عرفته بلادنا من إبداع في مجال الفكر السياسي والإجتماعي والثقافي كان بالأمس سندا لحماية كياننا الوطني من النويان في مواجهة مخطط الإستيلاء الاستعماري . ويبقى اليوم سندا أساسيا لمشروعنا الحضاري الوطني الذي حدد العهد الجديد أهدافه ومقوماته ومعالمه .  
فالتغيير مشروع ثقافي ، لأن أساسه الاضافة المستمرة ونمو المعرفة والثقة في الإنسان التونسي كائنا مبدعا خلاقا لا يقنع بما كان ولا بما هو كائن .

وهكذا ، أعاد التغيير الاعتبار للثقافة فجعلها سندا له كما أعاد الاعتبار للمثقف والمبدع بوصفه مستأمنا على أصالتنا وتراثنا ، مستشرفا ومبشرا ومطالباً بنشر إرادة الحياة وترسيخ الوعي بضرورة التجديد والابتكار والتطور .

واعتبارا لهذه المكانة التي أسندت للثقافة والمثقفين ، حصل القطاع الثقافي في غضون هذه السنوات القليلة منذ التحول على مكاسب لم تشهدها أية مرحلة خلت من مراحل تاريخ بلادنا الحديث .

ولئن شملت هذه الاصلاحات مختلف جوانب العمل الثقافي ، فإنها تركّزت بصفة خاصة على إصدار التشريعات ووضع الآليات التي تتصل بتحرير الإبداع من مكبلاته وتشجيع الإنتاج الثقافي وتطويره نحو الأفضل والأرقى وصيانة حقوق المبدعين الأدبية والمادية ورعايتهم والإحاطة بهم ، وإيجاد الحوافز الضرورية لإنشاء صناعة ثقافية وطنية وإعطاء مزيد من الدفع لنشر المادة الثقافية وترويجها علاوة على ما تحقق في مجال صيانة مكونات تراثنا الوطني وتوظيفها ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا .

سيداتي سادتي

إنه بقدر ما راهن العهد الجديد على الثقافة ويقدر ما وفر لها من مناخ سليم وحرية ورعاية متزايدة ، بقدر ما ينبغي أن ندرك أن النهوض بثقافتنا وإنمائها مسؤولية مشتركة لا يمكن وضع أزرها على الدولة وحدها .

فقد تجاوزت تونس بعد السابع من نوفمبر 1987 مرحلة من مراحل تاريخها

إستأثرت خلالها أجهزة الدولة وحدها بوظائف إنتاج الثقافة ومسؤولية نشرها وترويجها وبعث المؤسسات الثقافية وتسييرها . انقضت تلك المرحلة التي اقتصرت فيها دور المواطن على مجرد الإستهلاك لثقافة تتولى تحديد مضامينها وأساليبها وشروطها أجهزة الدولة أو الإدارة .

قلت ، إنقضت تلك المرحلة التي شهدت خلالها بلادنا إختزالا غير طبيعي للتنظيمات الإجتماعية الفاعلة والجمعية على وجه الخصوص ، إختزالا ربما كان نابعا آنذاك عن إستنقاص لشأن هذه التنظيمات ودورها في تحقيق غايات المشروع إستنقاصا قد يصل إلى حد التشكيك في مشروعية مشاركة هذه التنظيمات وأهليتها لتحمل المسؤولية مع أجهزة الدولة .

لقد ولد هذا الإختزال ، عند تفاقمه خلال فترة امتدت حوالي ثلاثة عقود ، تهميشا لدور الجمعيات وفقرا وارثاء في المكونات الحيوية للمجتمع المدني وفي نسيجه الإجتماعي أدى إلى انطواء جزء هام من القوى الحية وانسحابها عن المشاركة ، وإلى تقشي ظواهر الإختزال من ناحية وتزعجات الدغمائية والجمود في أوساط لم يكن بوسع هذه النزعات السلبيّة والأثقافية أن تقتطعها أو أن تتزعرع فيها لو استندت آنذاك لتنظيمات المجتمع المدني السليمة المكانة والدور الذي كان يمكنها من ملء الساحة وتلبية الحاجة .

### التقاليد الجمعية بتونس وارتباطها بالإصلاح:

ليس من قبيل الصدفة التاريخية أن تكون أولى الجمعيات التي نشأت ببلادنا في تاريخها الحديث جمعيات ذات صبغة ثقافية .

كانت هذه الجمعيات قبل أن تتشكل أولى التنظيمات السياسية الوطنية في مستهل هذا القرن ، فضاءات فكرية بادرت بإحداثها النخبة الوطنية الناشئة آنذاك لتتجاوز بواسطتها مساحات الظلمة وتتخلص من مكبلات الفكر التي سادت خلال مراحل الركود. فضاءات كان المقصد من بعثها إتاحة الفرصة لنشر المعرفة والوعي وفك عقال الفكر التونسي والوجدان الوطني من أجل حماية الكيان من الإستيلا ب

وفتح سبل النهضة والتفاعل مع العصر والحدائق .

فمن أجل إحياء الثقافة ونشر الفكر الإصلاحي المستنير والنهوض بالإبداع نشأت الجمعيات الخيرية وقدماء العهد الصائقي في أوّل الأمر لتفتح الطريق بعدها لمئات الجمعيات الثقافية الكبرى والصغرى والمحلية والفرعية تأسست في صلبها الفرق الموسيقية والمسرحية والمدارس والمكتبات الأهلية والمنشآت الفكرية والأدبية وغيرها.. فتولّد ببلادنا عبر هذه الجمعيات خلال النصف الأوّل من هذا القرن مناخ من الحيوية والنشاط والتنافس ربما كان أهمّ عوامل النهضة الثقافية وأبرز مستند فكري لحركة التحرر الوطني ، علاوة على إسهامها في إنتعاش الإبداع ، وتكوين جيل كامل من المبدعين الذين تركوا في الثقافة التونسية بصمات لا تمحى في مجالات الأدب والمسرح والموسيقى والفنون المختلفة ، هذه الحيوية لم تكن لتحصل في غياب التشجيع الجمعياتي الذي أحاط بها فأفادته واستفاد منها .

### الجمعيات والمجتمعات الحديثة :

لقد فرض التنظيم الجمعياتي اليوم نفسه لدى مختلف الأمم المتطورة كنسب من أساليب التشكل الإجتماعي الأكثر مرونة وقابلية للتفاعل مع الأوضاع المتغيرة والاستجابة لتجدد الحاجات الإجتماعية والثقافية للأفراد والمجتمعات .

فأصبحنا ، نشهد اليوم نمواً متصاعداً في النسيج الجمعياتي في هذه الأنظمة الإجتماعية رسخت تقاليده وأصبح له تأثير بارز على هيكلية المجتمعات المعاصرة وعلى سير الحياة فيها نتيجة لما يحركه هذا النسيج من طاقات وآليات كثيرة ما تساعد على مواجهة الأوضاع الجديدة وعلى التأقلم مع المتغيرات .

إنّ طموحنا المشروع منذ التحوّل لأن يصبح المجتمع التونسي مجتمعاً مدنياً حياً ، جعل العهد الجديد يسند إلى العمل الجمعياتي دوراً استراتيجياً ويجعل منه أحد الروافد الرئيسية لبناء المجتمع المدني ولتكريس الديمقراطية سلوكاً وممارسة فعلية ولبناء ثقافة جديدة أساسها التنوع والإثراء .

وليس أدلّ على ذلك مما اتخذته الدولة منذ 1987 لفائدة النهوض بالعمل

الجمعيةاتي من إجراءات شملت أوجه التشريع من ناحية وجوانب الدعم العملي والمعنوي من ناحية أخرى .

ففي المستوى التشريعي تمت منذ التحول مراجعة قانون الجمعيات على مرحلتين . أولهما سنة 1988 وثانيهما سنة 1992 من أجل تيسير الإجراءات المتعلقة بتكوين الجمعيات وضمان شفافيتهما، وكذلك من أجل توضيح مجالات تدخل الجمعيات وفق تصنيف يساعد كل جمعية على تحديد أهدافها ومجالات نشاطها ويساعد كذلك مختلف أجهزة الدولة على التعامل معها وفق الغايات والمجالات .

### الجمعيات والعمل الثقافي:

ويمثل العمل الثقافي مجالا من أرحب المجالات لتقبل نشاط الجمعيات بل أن النهضة الثقافية التي يصبو إليها العهد الجديد وتحقيق الطموح في جعل بلادنا قطبا ثقافيا حقيقيا ، مرتبطة إلى حد كبير بالدور الذي من المفروض والضروري أن يؤديه نسيج الجمعيات الثقافية في تحقيق هذا المطمح .

لقد سبق وأن أشرت إلى أن أجهزة الدولة تكلفت وحدها أو كادت في مرحلة ما قبل التحول بدور المنتج الثقافي الرئيسي والمستهلك الأول للفن التشكيلي والعروض الثقافية وهي المسؤولة وحدها على إنشاء المؤسسات الثقافية بمختلف مستوياتها وعلى تسييرها وتطويرها وتمويلها وتحديد أنشطتها .

إن مرحلة التطور التي يعيشها المجتمع التونسي اليوم وشروط التأسيس للديمقراطية وتنوع الحاجات الثقافية وتحولها ، والتعددية الفكرية والإبداعية التي تطمح لبلوغها أصبحت تتطلب مشاركة كل الأطراف الإجتماعية مع الدولة في تحمل مسؤولية النهوض بالعمل الثقافي الوطني .

إن دولة العهد الجديد قائمة بوظائفها والتزاماتها في مجال العمل الثقافي بل أن لم يلقَ من قبل ما يلقاه اليوم من حضرة تمويل وتأسيس وتنظيم ورعاية وتشجيعا والجمعيات الثقافية مهما نمت وتنوعت وتزايد نشاطها وإشعاعها لن تكون في يوم ما بديلا أو معوضا لما تضطلع به الدولة في مجالات تشجيع الإنتاج والإبداع

الوطني وتنظيم هياكله وآلياته ومسالك ترويجه وإنشاء المؤسسات المرجعية وحماية حقوق المبدع وضمان الحقوق الثقافية الأساسية للمواطن التونسي .

إن دور الجمعيات يتمثل في مساندة مجهود الدولة من ناحية ، وفي تقريب العمل الثقافي من المواطن ومن نبض الحياة الإجتماعية في مختلف مستوياتها ، وفي إيجاد مناخ من التنوع والتنافس من أجل الأفضل والأرقى .

ومن هذا المنطلق ، تصبح الجمعيات الثقافية بمختلف أصنافها ومستوياتها سندا لمجهود الدولة ومحركا للطاقت الإبداعية ، ومعينا يمكن من تلبية الحاجات المتزايدة للثقافة ، وفضاء تتفاعل ضمنه الثقافة بالقطاعات الأخرى ويقضيا التنمية المتنوعة .

لقد أصبح لدينا في تونس اليوم ما يناهز 6000 جمعية من بينها عدد هام من الجمعيات الثقافية المتنوعة - جمعيات قطاعية ذات بعد وطني تهتم بالسينما والمسرح ، وبالأدب والكتاب والموسيقى وبقية الفنون ، ونشر الثقافة العلمية وصيانة التراث والتعريف به خلال السنوات الأخيرة . وتشجيعا للتعبير بالقطاع الجمعياتي شجعت وزارة الثقافة هيئات المهرجانات بمختلف أصنافها لتتحول إلى هياكل جمعياتية .

وإلى جانب الجمعيات المختصة في العمل الثقافي لابد أن نشير إلى أن هناك عددا متزايدا من الجمعيات الإجتماعية والتنموية التي أصبحت اليوم تسهم بصفة عرضية أو مستمرة في إثراء الساحة الثقافية الوطنية على الأصعدة الوطنية أو الجهوية أو المحلية .

ولئن نرى عددا من الهياكل الجمعياتية تسهم في الاحاطة بانتاج الهواة في المسرح ( ما يزيد عن 100 جمعية ) وفي السينما والفنون التشكيلية وفي إنجاز أنشطة تتعلق بصيانة التراث وحفظه ، فإن الغالبية العظمى من الجمعيات الثقافية لا يزال نشاطها مقتصر على التعريف والتحسيس والتنشيط وهي أنشطة حيوية لا يقل شأنها عن أنشطة الإنتاج بالنسبة إلى العمل الثقافي .

سيداتني سادتي

إن العمل الجمعياتي مبني أساسا على التطوع والرغبة الطبيعية في المشاركة والإنخراط في مشروع جماعي لا تجنى بالضرورة من ورائه مصالح فردية أو نفع ذاتي مباشر ، بقدر ما هو إرضاء لما في نفس المواطن الحرّ المسؤول من حاجة إلى المشاركة والإندماج والتضامن مع الغير . ولهذا الاعتبار ، فإن النجاح يتفاوت من جمعية إلى أخرى كما يتفاوت البذل والإسهام بين عناصر كل جمعية وأعضائها ، وقد يتراوح بحكم ما سبق نتائج هذه الجمعية أو تلك بين فترات من السخاء وفترات من الإرتقاء .

الأهم في هذه المرحلة أن ننحو نحو تطوير ديناميكية الجمعيات الثقافية وضمن أداؤها لنشاطها ومزيد إحكام الصلة القائمة بينها وبين الهياكل الرسمية من أجل الرفع في كفاءة الجمعيات على تحقيق أهدافها وإنجاز مشاريعها .

وإذا كان حري بالدولة أن توفر للجمعيات الثقافية الدعم والمساندة فإن الجمعيات مدعوة إلى إحكام مشاريعها وترشيد تدخلاتها وتنمية مواردها ومزيد الإعتماد على إمكانياتها الذاتية وتوسيع مجال إشعاعها ومزيد العناية بجانب الإتصال والإعلام .

ولئن يمثل التطوع إحدى المراكز الأساسية للعمل الجمعياتي فإنه أن الأوان للجمعيات أن تأخذ بزمام أمورها وتخلق المعادلة الضرورية بين العمل التطوعي والأسلوب الإحترافي أو شبه الإحترافي لتؤكد بذلك مساهمتها المدنية .

ويقتضي ذلك أن تهتم الجمعيات أكثر من ذي قبل باستقطاب الكفاءات والطاقات البشرية ، وبمجال التكوين لإطاراتها النشيطة . وفي هذا المجال بالذات يمكن للجمعيات الثقافية أن تتعاون في تكوين إطاراتها مع الهياكل والمؤسسات الإدارية لتنظيم دورات تكوينية في مختلف الاختصاصات الإبداعية أو التنشيطية وفي مجال التسيير والتصرف . وقد أجريت خلال السنوات الأخيرة تجارب تكوينية بين هياكل الوزارة وعدد من الجمعيات المختصة .



## الدعم المالي لنشاط الجمعيات :

إن وزارة الثقافة وعديد المؤسسات والهيكل الرسمية تخصص حالياً إمكانات مالية هامة لدعم عمل الجمعيات غالباً ما تكون في صيغة منح سنوية تقدر بحسب تقييم إشعاع هذه الجمعية أو تلك وحجمها ومجالات نشاطها .

ولئن توصلت الجمعيات الثقافية إلى خلق موارد ذاتية هامة إلى جانب منحة الدولة فإن جمعيات أخرى لا تزال تكاد تعتمد كلية على هذه المنحة . وهكذا يتحول الدعم إلى مصدر للجمود وتحلّ عقلية التواكل محل التحرك والمبادرة .

وإذا ما أردنا أن يسهم دعم الدولة في خلق الديناميكية المنشودة فإن المرحلة الجديدة والتزايد المتوقع في نسيج الجمعيات الثقافية قد يستدعي مراجعة مبدأ المنح السنوية وتعويضها تدريجياً باتفاقيات تبرم بين الإدارة والجمعيات من أجل إنجاز برامج ثقافية أو تكوينية أو إبداعية معينة تكون محدّدة الأهداف والمضامين والمراحل ومضمونة النتائج . وتتجدد بمقتضى هذه الإتفاقيات وعقود البرامج التزامات الجمعية مثلاً بتحدّد التزامات الإدارة نحوها .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

سيداتي سادتي

قبل أن أختم كلمتي هذه ، أريد أن أؤكد مجدداً بأن تكاثف الجمعيات الثقافية وانتشارها وتنوع اهتماماتها ، ظاهرة من الظواهر الصحية التي تدلّ على أن مشروعنا الثقافي أخذ مساره الصحيح ويتجه نحو الثراء والتنوع .

فبقدر ما ينمو عدد الجمعيات الثقافية وتتعدّد إهتماماتها ومجالات نشاطها بقدر ما تتوفر فرص جديدة لمشاركة المواطن في تنشيط الساحة الثقافية .

غير أن نماء عدد الجمعيات لابد أن يواكبه تطوّر نوعي في أساليب عملها وفي كفاءتها بما يكفل لها الإسهام مع الدولة وبقية الأطراف الإجتماعية الفاعلة في الإرتقاء بالعمل الثقافي ببلادنا وتحقيق غده الأفضل .

أتمنى أن ألتقي مجدداً بأحباء الإتحاف في مناسبات أخرى وأرجو أنني توفقت في هذه الكلمة في إبراز أهمية موقع الجمعيات الثقافية ضمن المشروع الثقافي للعهد الجديد .

# الأنصار وقضية الخلافة

يقلم : الضاري خوالدية

\* إلى استاذي الفاضلين : سعد غراب وعبد المجيد الشرفي .

- " والسَائِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " (1)

- لَمْ الْأَنْصَارُ مُحَمَّداً عَلَى حِرْمَانِهِمْ مِنْ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ وَإِجْرَآلِهِ الْعَطَاءَ لِلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ فَجَمَعَهُمْ ثُمَّ قَالَ : أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؟ قَالُوا : بَعَادَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ . قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ ، فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصَدَقْتُمْ : أَتَيْنَاكَ مُكْذِبًا فَصَلَقْنَاكَ وَمَخْلُوفًا فَتَنَصَّرْنَاكَ وَطَرِيدًا فَتَوَيَّنَّاكَ وَعَائِلًا فَأَسَيْنَاكَ . أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ... فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار (2)

- 1 من هم الأنصار ولم أسلموا ؟

إن كانت الآية (3) والحديث النبوي (4) قد حددا دور الأنصار الحاسم في السبق بالإيمان بالدين الجديد والثود عن محمد وصحبه من المهاجرين « بدءا من 622م » ويذل النفس والنفس في سبيل نشر الدعوة (5) فإن اللفظ « أنصار في حد ذاته قد يكون في حاجة إلى تدقيق : إنه مشتق كما هو بين من

نصر(المعروفة المدلول) لكن " أنصار " ( الجمع ) أمشتقة من نصير ( كحليف في الجاهلية وبذلك يكون النبيء قد أسلم اللفظة ) أو من ناصر ( وهذا أقرب ) ؟ أما قول بعضهم أن محمداً قد يكون استغل التشابه الموجود بين لفظي أنصار ونصاري فسمي صحبه من اليرشيين أنصارا كما سمى عيسى الحوار بين أنصار الله (6) فليس صحيحا (7) أما المعنى الجزئي المهم الذي يحسن إثارته في هذا المقام فهو أن النَّاصر أو النَّصير لا تكون علاقته بالمنصور دموية (عادة) وإنما مذهبية ( دينية ، ايديولوجية ) .

إن كان المؤرخون القدامى لم يولوا أسباب إسلام أهل يثرب ( بني قيلة : الأوس والخزرج ) عناية مكثفين ب ( لما أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيّه ... لقي « النبي » رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا ... » ( 8 ) ) فإن التحقيق في ثانيا ما أورده من أخبار قد يساعد على تحديد بعض الأسباب التي منها :

- إن التعاليم الدينية السماوية ( اليهودية ، المسيحية ) لم تكن غريبة عن يثرب وضواحيها (9) رغم أن اليهود والنصر لم يلقيا إنتشارا بها ( لأن الدينين لم يعبرا عن واقع العرب الإجتماعي ونظرتهم للحياة بينما الإسلام عبّر عن ذلك وكان النبيء منهم وعرف كيف يخاطبهم ويؤثر فيهم ) ( 10 ) لذا يمكن القول إن ليثرب تعاملت مع دينين سماويين جعل موقف أهلها من الدين الجديد ليس عدائيا عدا قريش مكة المحافظين عابدي الأوثان ( الذين رأوا محمداً قد خالف دينهم ودين آبائهم ومزق جماعتهم وسفّه أحلامهم ) ( 11 ) وقد يكون الدافع إلى هذا الموقف العنيف إقتصاديّا قيميّا بالأساس من ذلك سعي قريش إلى المحافظة على مركز مكّة الديني التجاري إذ هي مثابة الآلهة ومقصد الحجاج ومحطة القوافل القرشية وغيرها ، وبنية نظامها الإجتماعي الموروثة ( التراتب الإجتماعي ) ( 12 )

- أن الصراعات القبلية بيثرب عنيفة مستمرة منهكة مشرذمة عكس مكة التي كان مجتمعها " متماسكا إلى حد ( الموقف من الدين الجديد موحد ) ولعل الأمثلة التالية توضح حدة هذه الصراعات التي كان من نتائجها إسراع أكلر الأوس

والخزرج إلى اعتناق الإسلام (13) أملاً في الأمن والسلام والوثام (14) .  
\* يوم بعث : معركة دامية وقعت بين الأوس والخزرج قبيل الهجرة .  
\* كان أول مقرئ بالمدينة يصلي بهم لأن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمّه بعض (15)

\* حثّ النبي في خطبه وكتبه بالمدينة على التحابب والتأخي (16)  
\* التنافس الشديد بين الأوس والخزرج كان حاسماً في تمكين حزب المهاجرين (أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح ...) من الخروج منتصراً من سقيفة بني ساعدة وذلك بإبعاد الانتصار نهائياً عن الخلافة وانفراد قریش بها (17) .  
- أن الوضع الاقتصادي يثير لم يكن على ما يرام (18) مقارنة بمكة ، ليس نتيجة للصراعات الملمع إليها أعلاه فقط وإنما أيضاً نتيجة لـ :

\* تحكم اليهود في الموارد الرئيسية (19) جعل النبي يمعن في غزوهم سعياً وراء خلق قاعدة اقتصادية تحسن وضع المدينة الإقتصادية والإجتماعي وتمكّنه من نشر الدعوة وبناء الدولة (20)  
\* التنافس التجاري بين مكة والمدينة جعل الأوس والخزرج يسارعون إلى نصرة النبي الجديد وصحبه والتحالف معهم أملاً في قصم ظهر قریش (21) الذين كانوا يعتبرون يثرب مصراً لبضائعهم (22)

## 2 - دور الانتصار في نشر الإسلام :

قد يكون مفيداً عدم الإطناب في الحديث عن دور الانتصار في إظهار الإسلام لأن المسألة قد أشبعَت دراسة منذ القديم والإكتفاء بذكر رؤوس أقلام مشغوعة بأهمّات المصادر والمراجع .

- \* القرآن والحديث النبوي ينوّهان صراحة بالانتصار (23)
- \* الشيخان ينوّهان بالانتصار (24)
- \* الانتصار رُوّد الأحداث الكبرى ( الغزوات ، المبايعات المصرية ... ) (25)
- \* الانتصار يحدثون دورهم بأنفسهم (26)

### 3 - قضية خلافة النبي :

سنحاول في هذه الفقرة المهمة من الدراسة أن ندلو بدلونا في معالجة ثلاث قضايا أولها أن الصراع بين الأنصار والمهاجرين " قديم " خافت عهد النبي وثانيها أن هذا الصراع قد انفجر يوم موته وثالثها أن نتاجه ( الصراع ) كانت رهيبة .

#### 1 - الصراع القديم الخافت :

إن قدم الصراع الذي نعتيه ليس العداء المستحكم في الجاهلية بين مضر ( قريش ) والقبائل اليمنية ( منها بنو قيلة : الأوس والخزرج ) ( 27 ) وإنما ما كان بين الأنصار والمهاجرين من تحقّر وتوجس خفيّين فمجابته " باردة " على جميع الأصعدة في الحياة اليومية فساخنة يوم موت النبي ، لعلّ عواملها رئاسة النبي الجماعة المسلمة ( الأنصار والمهاجرين ) على حساب أشراف يثرب ( ابن أبي بن سئول وسعد بن عباد ... ) ( 28 ) وتقديمه المهاجرين ( جُل قادة الغزوات مهاجرون ) ( 29 ) وإجزاله العطاء للمؤلفة قلوبهم ( على حساب الأنصار ) ( 30 ) ومشاركة المهاجرين المتكاثرين ( 31 ) أهل يثرب ( الفقراء ) الأرض والرزق والمسكن ( 32 ) أمّا مظهرها فتمثل في سريان تدمير بالمدينة أقلق النبي والمهاجرين وتجلّى في :

- مواجهة النبي بالنقد المخرج ( أحيانا ) : كاتهامه بمحاباة أهله ( المؤلفة قلوبهم ) ( 33 ) ورأفته بعشيرته ( الكفار ) ورغبته في قرنته ( يوم غزوة الفتح ) ( 34 ) واستخفافهم أمامه بقتلى بدر من القريشيين باعتبارهم " عجائز ضلّعا نُحروا كالإبل ( 35 ) وإمساك بعضهم على أنفه عند وقوف النبي الراكب حماره عليه خوف نتن الرائحة ( 36 ) واتهامهم النبي بالحكم للمهاجر وعلى الأنصاري في قضايا المظالم ( 37 ) .

- القدح في شرف زوجه : حديث الإفك ( القصة معروفة ومن المتهمين في اشهارها عبد الله ابن أبي بن سلول ) ( 38 ) .

- الدعوة إلى عدم إعانة المهاجرين وهجومهم : قال ابن أبي عند تنازع أنصاري

ومهاجر على الماء : " هذا ما جازونا به ، أويتاهم ومنحناهم ثم هؤلاء يقاتلون " وقال : والله لو لا نفقتكم على هؤلاء السفهاء الذين ليس لهم شيء إلا ما ركبوا رقابكم وما خرج معهم رجل واحد منهم وللحقوا بعشائهم فالتمسوا العيش ... " وقال حسان بن ثابت الأنصاري ( 676هـ / 4 ) من البسيط :

أُمْسَى الْجَلَابِيبُ قَدْ عَزُوا وَقَدْ كُتِرُوا

وابن الفريعة أُمْسَى بَيْضَةُ الْبَلَدِ (39)

- قضية الآيات القرآنية الضائعة والمخوفة : إن هذه القضية ، وإن أثيرت بعد موت النبي ، عهدي عمر ( 634 - 644 / 13 - 23 هـ ) وعثمان ( 644 - 656 / 23 - 35 هـ ) - لخطيرة مقارنة بما كنّا نذكر لأنها تكشف عن اهتزاز الثقة بين الأنصار والمهاجرين ، وتتعلّق بأشكال آثارها الأنصار (الحُفَاز) حول سلامة النص القرآني المنزل يمكن تقسيمها (الاشكالات) إلى قسمين :

القسم الأول آيات رأى الأنصار أن عثمان والمهاجرين لم يثبتوها في المصحف فأثبتت بإلحاح منهم كآية 128 من سورة التوبة و23 من سورة الأحزاب (40) والقسم الثاني آيات رأى الأنصار أن بعض ألفاظها قد جذبت فالحوا على إثباتها - خاصة ومدلولها التنويه بهم - كإتباع لفظة " الأنصار " لفظة " المهاجرين " في الآية 100 من سورة التوبة : التي كانت : و " السابقون الأولون من المهاجرين " والذين اتبعوهم بإحسان " فأصبحت : والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان " (41) .

## ب - انفجار الصراع :

لا نريد - في هذا المضمار - أن نصف أمر سقيفة بني ساعدة لأنّ مراجعها القديمة عديدة متوفرة ودارسيها المحدثين كثر (42) وإنما نريد أن نخرج من حدثها باستنتاجات قد يكون غفل عن ذكر بعضها المؤرخون لعل المهمّ منها :

- أن قضية خلافة النبي أخذت تشغل المهاجرين والأنصار منذُ قوليه في خطبة فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا وبهذا الموقف أبدا ... حجّة الوداع

وإني قد بلغت فيكم ما إن إعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ... (43) ثم طرحت  
 بإلحاح بداية من " بدء شكواه " إلى أن وافاه الأجل و " تمت " مبايعة أبي بكر  
 (632 - 634 م / 11 - 13 هـ) (44) ولعل الدليل على ذلك \* تباطؤ  
 جلة المهاجرين والأنصار في الانضمام إلى جيش أسامة بن زيد بن حارثة  
 المأمور من قبل النبي بالمسير إلى الشام ، بتعلة حادثة سنّ الأمير ، وعندما أُلحَ  
 النبي على وجوب إنفاذ أمره " انضموا سراعاً " إلى الجيش الذي خرج ثم  
 عسكر قريباً من المدينة انتظاراً لما يمكن أن يطرأ على حال النبي (45) وما قد  
 ينتج عن ذلك من أحداث (46)

\* تردد بني عبد المطلب ( العباس وعلي .. ) في طلب وصية محمد لهم بالخلافة  
 (47) أو المنزلة الحسنة بعده (48)

\* اجتماع أشراف الأنصار بالسقيفة ومحاولة تولية سعداً بن عباد لا يعقل أن  
 يكون تنظيمه وليد الإعلان عن وفاة النبي ، إذ الدعوة إلى الاجتماع ( السري )  
 والاياعاز بتولية شخص معين وإعداد الحجج يتطلب وقتاً .  
 \* معج المدينة بالعيون من أشراف الأنصار الثلاثة : الأنصار والمهاجرين ( شق  
 أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح ، وشق بني هاشم ومن والاهم : العباس وعلي  
 والزبير وطلحة ... ) وإلا لما انتقل خبر اجتماع السقيفة إلى عمر وأبي بكر وخبر  
 تولية أبي بكر إلى علي وصحبه وإيعاز علي إلى الأنصار لمبايعته ( إن اقتضى  
 الأمر ذلك ) (49) .

\* إعداد عمر ( " زُورت في نفسي مقالة (50) ) وأبي بكر خطبتيها لم حاجة  
 الأنصار في أحقية الخلافة ليس أمراً وليد وقته .

\* تعبئة قبيلة أسلم وزحفها على المدينة لفرض خلافة أبي بكر النبي أمران  
 معدّان مسبقاً من قبل حزب المهاجرين ( شق عمر وأبي بكر ) ولعل ذلك ما جعل  
 عمر يقول : " ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقتت بالنصر " (51) .

\* رفض عمر موت النبي وتهديده " زاعمي ذلك " ليس عمق إيمان وإنما

سياسة هدفه منها إحداث بلبلة يستفيد منها حزبه ولعل مؤيدات زعمنا هذا أن أبا بكر ليس أعلم من عمر بالآيات الدالة على حتمية موت النبي ( ككل البشر ) : آل عمران آية 144 ، والزمر آيتا 30-31 (52) وإن عمر بقي طيلة حياته يقنع الناس بما حمله على مقالته يوم موت النبي (53)

\* ترك النبيء دون دفن ( " حَتَّى ارْبُدُّ بَطْنَهُ " ) ثلاثة أيام ! (54)

إن الصراع الشديدة على الحكم ذا الأبعاد السياسية القبلية الفتوية الواضحة والدينية الباهتة ليبين من ناحية ( أيام النبيء ) عن جهد محمد القائد الفذ النبيء في تكميم تناقضات جل المؤمنين به ومشروعه من العرب ومحاولته أن يجعل منهم " أمة واحدة " أي جماعة واحدة (55) سعيا منه إلى إضعاف العصبيية القبلية (56) ، سلاحه الفعال في ذلك دهاؤه السياسي الفريد وقدرية مركّزات رسالته وشخصيته الجذابة ( إِنَّهُ لَنُورٌ يَسْتَضَاءُ بِهِ (57) ) التي لا تضاهي في التأثير على الناس (58) وفرضه قيادة المقدس للزمني (59) ، ومن ناحية أخرى ( بعيد موته ) عن انفلات من مظاهره تمرّد الزمني على المقدس فأفتكاك زمام القيادة أي طغى القيم الجاهلية الراسخة على الأسطح مبعدة القيم الإسلامية الجديدة مما جعل العرب والنبيء يؤدّعهم أمام طريقتين : إما الرجوع إلى حياتهم قبل اعتناقهم الإسلام وإما مواصلة المشروع المحمدي الديني لكن بشرط أن تكون كلمة السيف هي العليا وهكذا كانوا (60) .

### E - نتائج الصراع على خلافة النبيء :

إنَّ عنواننا الفقرة " بنتائج الصراع على خلافة النبيء " لا يعني أننا ندّعي القدرة على تحديدها لأنها - منذ موت النبيء وإلى أبد الأبد - تتوالد وأجيال العلماء " لا تتي عن تحديدها ودرسها على ضوء أوضاع المكان والزمان (61) وأنها القضية العربية الإسلامية الأولى التي أسالت - وما زالت تسيل - الحبر والدم وأنها - أخيرا - المعضلة التي تُعتبر مصدر " إبداعاتنا " الفكرية والأدبية ومصائبنا المزمّنة ... وإنما محاولتنا لا تعدو أن تكون إلماعاً إلى بعض ما طغى من



نتائج أيام الخلفاء الأربعة الأول .

لعل أَمْ نتائج اجتماع السقيفة العاصف ليس فرضَ مبايعة زعيم أحد شقّي المهاجرين ( الأقلية بالمدينة ) خليفة ولا " حرمان " . نتيجة لذلك - بني هاشم ( شق المهاجرين الثاني ) والأنصار ( الأكثرية بالمدينة / أهلها ) الذين لولاهم لما بقي الإسلام (62) من تولّي الأمر بعد محمدٍ ولا استعمال القوة والتهديد بها ( تخلّل الاجتماع عنفٌ ) لبلوغ الهدف ... وإنما التأسيس لحكم عربيّ " إسلامي " من ركائزه الإشتراط المزعوم لقرشية الخليفة ( الحاكم ) (63) الذي لم يال السنون جهداً في تثبيته أحقاباً (64) .

إن هذا الشرط - وإن برزت فاعليته ( الشوكة ) رنحاً من أيام حكم بني أمية ( 661 - 750 / 40 - 132 ) الملوكي الوراثي العضوض - لم يكن أيام محمد ويعيد موته ذا خطر يذكر إذ " ساد " الإسلام رغم قريش وحكم أبو بكر على معارضة كبار رجالها ( موقف عليّ والزبير وأبي سفيان .. ) (65) وارتدادها المبكر عند سماعها خبر موت النبي (66) ثم ارتداد كل العرب الثابت تاريخياً رغم خلافة أبي بكر القرشي محمد

<http://Archive>

إن ما ذهبنا إليه في تحليلنا قد يكون عين ما قصده عمر بقوله ، ردأ على الخائضين في أمر خلافة خليفة محمد ( أبي بكر ) وخليفة خليفة محمد ( هو عمر ) " إن بيعة أبي بكر كانت فلتة / فتنة ... غير أن الله وقى شرها " (67) إذ بينت النتائج أن الأسس التي بنى عليها الشيطان أولوية قريش في الحكم وهي السبق في الصحبة والزيادة النضالية في سبيل الدعوة والقرابة ( الشوكة - العصبية ) (68) واهية .

لقد استطاع خليفة محمد ( أبو بكر وعمر ) الداهيتان المسكونان بثقل مسؤوليتهما ( علاقتهما الوطيدة بالنبي ورسالته ) وهاجس الفلتة / الفتنة (69)، أن ينجزا جليل الأعمال ( لا حاجة لاثبات مراجعها لشهرتها ) فيئسبيا النخبة " الفلتة " ويخمد الصراع على السلطة بين أجنحة قبيلة قريش ويرتبا الانتقال

السلطة الحساس الخطير ترتيباً " نجح " فيه أبو بكر لعهدده لعمر فقط بالخلافة ( معارضة ضعيفة ) ( 70 ) وفشل فيه عمر لعهدده لسنة من كبار قریش باختبار خليفة منهم ( 71 ) طال انتظارهم السلطة ( 72 ) وتقدمت أعمارهم فأدّى توسيع الشورى " المبطن " بين صحابة قریش القبيلة التي جعل أبو بكر وعمر الإمارة فيها إلى " فلتة " جديدة ( أو بالأحرى حيلة ) نصبت عثمان ( 23 / 656.644 ) 35 هـ ) خليفة، وخروج الفتنة من إطارها النخبوي إلى الإطار الشعبي ( العامة ) نتيجة لإبتداعه تصورا جديدا للحكم ( 73 ) حتم تطبيقه الجور والظلم والمحابة ( 74 ) ، ودعاية مناهضيه من قریش ومن لف لفها ( 75 ) فقتل عثمان أعنف قتلة ( 76 ) وعشرة آلاف صحابي يتفرجون ( 77 ) واتخذ الصراع على السلطة منذ أو آخر عهد عثمان وطيلة خلافة علي ( 656 - 661 / 35 - 40 هـ ) سمة الحرب الأهلية أو ما أطلق عليها : الفتنة الكبرى تميزا لها عن الفتن الصغرى السابقة المهدة لها .

إن الفتنة الكبرى ، التي يعود سببها - حسب ما بينا أعلاه ، إلى تشريع قرشية الخليفة التي ابتدعها أبو بكر وعمر لإبعاد الأنصار عن الحكم لمعتبرة ذروة الصراع على السلطة بين الأحزاب القرشية ( علي / طلحة والزبير وعائشة / معاوية ) المؤهلة وحدها للقيادة ، ومُحيية مشاعر الضيم لدى الأنصار الذين تحكم في رقابهم من أوّل ما جعلهم يتشيعون لعلي بحكم علاقتهم بالنبيء ( 78 ) مقابل تشيع جلّ المهاجرين لمعاوية ، ومؤسّسة للمذاهب السياسية الدينية الفكرية ( الشيعة ، الخوارج ، المرجئة ، المعتزلة ... ) ومسوّغة على مرّ العصور جور الحكام وسوكاتهم ( 79 ) ، كما أورد اليعقوبي ( 277 / 987 م ) في فصل من تاريخه عن خلافة معاوية : " سلطان غشوم خير من فتنة تنوم " ( 80 ) التي ( الجور والشوكات ) لو اهتم بدراسة آثارها علماء الاجتماع وعلماء النفس لربما وجدها السبب الرئيسي في نخر قوي العرب وإماتة ملكات الإبداع فيهم وأذلالهم وإفقادهم حب الوطن والحياة الكريمة ( 81 ) فأصبحوا أمة يصدّق فيها بيتا أبي

الطيب المتنبّي ( 915 - 965 / 303 - 354 ) من البسيط :  
 أغايَةُ الدِّينِ أَنْ تُحْفُوا شَوَارِكُكُمْ يَا أُمَّةٌ ضَحَكَتْ مِنْ جَهْلِهَا الْأُمَمُ (82)  
 ومن الوافر :  
 وَدَهْرٌ نَاسُئُهُ نَاسٌ صِفَارٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُنُثٌ صِخَامٌ (83)

#### \* المراجع والهوامش :

- 1- التوبة ، آية 100
- 2- تهذيب سيرة ابن هشام ، عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ( د ت ) ص 318
- 3- ذكر القرآن " الأنصار " في الآية 117 من نفس السورة ( التوبة )
- 4- الأحاديث التي ورد فيها ذكر الانتصار كثيرة جداً
- 5- قال المتحدث باسم سعد بن عبادة الوجود في سقيفة بني ساعدة : " نحن الانتصار وكتيبة الإسلام وانتم معشر قريش رهط نبينا ..... " تاريخ الرسل والملوك الطبري ط 1 ، 1987 ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ج 2 : ص 235 ، " الكامل في التاريخ لابن الأثير : ط 2 1965 دار صادر ، ص 328 ، تهذيب سيرة ابن هشام ص 393 .
- قال العباب بن المنذر في الاجتماع السقيفة أيضا : " فانتقم ( الانتصار ) أحق بهذا الأمر ( خلافة النبي ) منهم فإنه بأسيا فكم دان الناس لهذا الدين ... " الكامل في التاريخ ج 2 ص 330 ، تاريخ الرسل والملوك ج 2 : ص 243 .
- 6- آل عمران ، آية 52 والصف ، آية 14
- 7- دائرة المعارف الإسلامية " المعركة ج : 3 ، انتشارات جهان ، تران بونز حميري ص 53
- 8- تهذيب سيرة ابن هشام ص 144
- 9- جدال اليهود والنصارى النبي : العنكبوت آية 46 والأحزاب آية 26 والبقرة آيات : 111 ، 113 ، 120 ، 122 ، 135 ... والمائدة آيات 68 - 83 ...
- وغزو النبي اليهود : بني قنقاع : تهذيب السيرة ص 174 - 175 وبني النضير : تهذيب السيرة ص 205 - 206 ، وبني قريظة : تهذيب السيرة ص 225 - 234 وخيبر : تهذيب السيرة ص 260 - 267 ، ومضعون الصحيفة : تهذيب السيرة : ص 140 - 143 ... الطيب المتنبّي ( 915 - 965 / 303 - 354 ) .
- 10- عروية الإسلام وعالميته لشبلي العيسمي ، دار الطليعة ، بيروت ط 3 ، 1985 ص 40

- 11 - تهذيب سيرة ابن هشام ص 67
- 12 - تاريخ الحضارة العربية الإسلامية لصالح أحمد العلي وصحبه ، مطبعة الآداب ، النجف ط 4 ، 1975 ص 19 .
- 13 - جاء في " تهذيب سيرة ابن هشام " ص 115 : " فلما قدموا ( ربط المدينة الذين التقوا بالنبي ، أول مرة عند العقبة ) المدينة إلى قومهم فكروا لهم رسول الله ، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله " .
- 14 - قال ربط الأنصار للنبي ، في هذا اللقاء الأول ( تهذيب سيرة ابن هشام ص 115 ) : " إننا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ... " .
- 15 - تهذيب السيرة ص 116
- 16 - تهذيب السيرة ص ص 140 - 144
- 17 - انظر الحوار الساخن في سقيفة بني ساعدة بين الأوس والخزرج ثم بينهما وبين المهاجرين ثم انقسام الأنصار بين مؤيد لخلافة قريش ( أبي بكر ) ومناهض لها ب : تاريخ الرسل والملوك للطبري ، ج 2 ص ص 234 - 235 والكامل في التاريخ لابن الأثير 2 ص ص 328 - 331 وتهذيب السيرة ص ص 390 - 394 .
- 18 - انظر أسواق المدينة وعمل النبي على توسيعها وإيعاشها ب : تاريخ المدينة المنورة لابن شبيب تحقيق فهم محمد شلتوت ( د ت ) ج 1 ص ص 304 - 306 .
- 19 - تهذيب السيرة ص 120
- 20 - إن نقل كل من الطبري ( تاريخ الرسل والملوك ) وابن الأثير ( الكامل في التاريخ ) وابن هشام ( السيرة ) أخبار غزو النبي اليهود فإن ابن شبيب قد يكون أكثرهم دقة في تناول هذه المسألة إقتصاديا ، انظر كتابه " تاريخ المدينة المنورة " ج 1 ص ص 178 - 193 وفصلا مهما من كتاب " الفتنة الكبرى " لهشام جعيط صدر بمجلة الإجتهاد عدد 13 سنة 4 خريف 1991 ص ص 47 - 65 ، عنوانه بناء الدولة الإسلامية : الدولة النبوية .
- 21 - أنظر تحذير الأنصار الملح النبي ( يوم بيعة العقبة الثانية ) من الرجوع إلى قومه بعد إظهارهم له فيقوي ساعد قريش وينتقم اليهود منهم ب : تاريخ الرسل والملوك للطبري القسم الأول الجزء الثاني مكتبة خياط بيروت لبنان ( د ت ) ص ص 1220 - 1221 وتهذيب السيرة ص ص 119 - 120 .
- 22 - تهذيب السيرة ص 122 .
- 23 - القرآن ، آيتا 100 و 117 من سورة التوبة .
- الحديث : تهذيب سيرة ابن هشام ص ص 157 - 158 ، 384 ، وتاريخ الرسل والملوك

الطبري القسم الأول الجزء ، الثاني من ص 1220 - 1221 والقسم الأول الجزء الرابع  
1808 .

24 - الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 2 من 329 وجزء 3 من 51 وتاريخ الرسل والملوك  
الطبري ج 2 ( دار الكتب العلمية بيروت ) من ص 235 وتاريخ المدينة المنورة ج 2 من ص  
489 ، 675 .

25 - بيعتنا العقبه الأولى والثانية : تهذيب السيرة من ص 116 - 123 ، تاريخ الرسل  
والملوك القسم الأول الجزء الثاني ( مكتبة خياط بيروت ) من ص 1209 - 1221 ...  
- الغزوات : تهذيب السيرة من ص 152 ، 176 ، 298 إلخ ...

26 تاريخ الرسل والملوك القسم الأول الجزء الثاني من ص 1220 - 1221 ، الكامل في  
التاريخ ج 2 من ص 328 ، 330 وتاريخ الرسل والملوك ط 1 1987 ، دار الكتب العلمية  
بيروت ، ج 2 من ص 241 - 242 ، وتهذيب السيرة من ص 157 - 158 ...

27 - أدب السياسة في العصر الأموي لأحمد محمد الحوفي ، ط 5 ، دار نهضة مصر  
للطباعة والنشر ( د ت ) ص 87 ، وعروة الإسلام وعالمية لشبلي العيسمي ، دار الطليعة  
بيروت ط 3 1985 من ص 68 .

28 - أنظر محاولة سعد بن عباد استلام السلطة يوم موت النبي ( أخر السقيفة ) ب : تهذيب  
سيرة بن هشام من ص 390 - 396 وتاريخ الرسل والملوك للطبري ط 1 - 1987 دار  
الكتب العلمية بيروت ، ج 2 من ص 232 - 244 ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ط .  
1965 دار صادر ، ج 2 من ص 325 - 333 .

- أنظر معارضة عبد الله بن أبي بن سلول الشديدة لبقاء النبي والمهاجرين بالمدينة لأنهم سلبوه  
الزعامة : " لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعر منهن الأذل " ، " غلبني على قومي من لا قوم له " .  
ب تاريخ المدينة المنورة لابن شبة ج 1 من ص 349 - 369 .

29 - تهذيب السيرة من ص 147 ، 148 ، 149 ، 150 ، 372 .

30 - تهذيب السيرة من ص 318

31 - جاء في تاريخ الرسل والملوك القسم 1 الجزء 4 من 1808 أن محمدا قال : " يا  
معشر المهاجرين إنكم قد أصبحتم تزيدون والانتصار لا تزيد على هيئتها التي عليها اليوم  
والانتصار عبيتي التي أوتيت إليها فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم " .

32 - أنظر المواخاة بين المهاجرين الانتصار بتهذيب السيرة من ص 143 - 144 .

33 - أنظر الحديث الذي صدرنا به الدراسة .

36 - تاريخ المدينة المنورة لابن شبة ج 1 صص 358 - 359 ، 356

- 37 - الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي للدكتور خالد رشيد الجميلي ، بغداد 1989 صص 127 - وقد نقلت المسألة كتب أمهات الحديث .
- 38 - تاريخ المدينة المنورة ج 1 صص 312 - 338 .
- 39 - تاريخ المدينة المنورة ج 1 صص 349 - 369 ( أخبار كثيرة في هذا المجال )
- 40 - أنظر هذا وغيره كإثبات المعوذتين بالمصحف والاختلاف في رسم بعض الألفاظ ... إلخ بتاريخ المدينة المنورة ج 3 صص 990 - 1016 .
- 41 - تاريخ المدينة المنورة ج 2 ص 707 .
- 42 - من المراجع القديمة : تاريخ الرسل والملوك للطبري مكتبة خياط ببيروت ( د ت ) ، القسم الأول الجزء الرابع صص 1818 - 1843 ومروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي تحقيق محمد محي الدين الحميد ط 2 1367 - 1948 ، مطبعة السعادة مصر ، ج 1 بداية من ص 30 والكامل في التاريخ لابن الأثير ط 1965 دار صادر ج 2 صص : 325 - 332 . وتهذيب سيرة ابن هشام صص 390 - 396 ...
- من المراجع الحديثة : الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق ، نقد وتعليق معنوح حقّي دار مكتبة الحياة بيروت ( د ت ) صص : 181 - 186 ( خاصة ) ، الفتنة الكبرى لهشام جعيط
- الصادر بالفرنسية 1989 ، المترجم إلى العربية الصادر بدار الطليعة بيروت 1991 ، فصل : بناء الدولة الإسلامية : الدولة النبوية ، والمجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر لعبد المتعال الصعدي ، القاهرة ، مكتبة الآداب ( د ت ) ص 46 ، والأمة والجماعة والسلطة لرضوان السيد ، بيروت ، دار اقرأ ، ط 1 ، 1404 - 1984 ....
- 43 - تهذيب السيرة صص 371 - 372
- 44 - المرجع السابق صص 375 - 376 / 382 - 388
- 45 - المرجع السابق ص 383
- 46 - تاريخ الرسل والملوك للطبري ط 1 1987 ، دار الكتب العلمية بيروت ، ج 2 ص 246
- 47 - المرجع السابق ص 236
- 48 - تهذيب السيرة ص 388
- 49 - الكامل في التاريخ ج 2 ص 325
- 50 - تهذيب السيرة ص 393 ، والكامل ج 2 ص 327 وتاريخ الرسل والملوك ج 2 ص 323 - 324 والملك ج 2 صص 237 - 238 ، 233 والكامل في التاريخ ج 2 صص 323 - 324

- 54- تهذيب السيرة صص 386 ، 398 ، الكامل ج 2 ص 332 ، تاريخ  
الرسل والملوك ج 2 صص 233 - 238 .
- 55- تهذيب السيرة صص 140 - 143 ( الصحيفة )
- 56- عروبة الإسلام ص 83 .
- 57- أنظر مقطوعات لحسان بن ثابت تتضمن هذا المعنى " بتهذيب السيرة " صص  
400 - 407
- 58- تهذيب السيرة ص 385 : قالت عائشة ... وعرفت أن الناس لا يحبون رجلاً قام  
مقامه أبداً وأن الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك  
( الصلاة بالناس عند اشتداد المرض بالنبيء ) عن أبي بكر 59- المرجع السابق ص  
143 وغيرها .
- 60- الكامل في التاريخ ج 3 ص 55 : قال عمر : " إنما مثل العرب مثل جمل أنف  
اتبع قائده فليُنظر قائده حيث يقوده فأماً حيث يقوده فأماً أنا وحق رب الكعبة  
لأحملنهم على الطريق " .
- 61- من هؤلاء على سبيل الذكر لا الحصر : الأحكام السلطانية والولايات الدينية  
للماوردي ، مطبعة الوطن ، القاهرة 1298 ، والمحلى لابن حزم الأندلسي ، تحقيق أحمد  
محمد شاكر ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر 1347 ، وسلوك المالك في تدبير المعالك  
لشهاب الدين ابن أبي الربيع ، جمع محمد السملوطي ومحمد عارف ، مصر 1286 هـ .
- هـ- والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية ، دار الكتب العربية بيروت  
1966 ومقدمة ابن خلدون ، مكتبة المثنى بغداد ( د ت ) صص 190 - 209 ،  
والخلافة أو الإمامة العظمى لمحمد رشيد رضا مطبعة المنار ، مصر 1343 هـ ،  
والإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق ، مع دراسة ووثائق لمحمد عمارة ط 1  
المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1972 ...
- 62- أنظر الحديث الذي صدرنا به الدراسة والهوامش : 23 - 26 .
- 63- أنظر قولني أبي بكر وعمر في اجتماع السقيفة بتاريخ الرسل والملوك للطبري ط  
1 . 1987 دار الكتب العلمية بيروت : ص 234 ، قريش ولاة هذا الأمر ، " إن  
العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش " ص 235 " من ينازعنا سلطان  
محمد وإمارته ؟ " ص 243 ... والكامل في التاريخ لابن الأثير ج 2 ط 1968 دار  
صادر مكتبة المثنى بغداد ( د ت ) ص 191 وكتب الحديث : أخرجه الإمام أحمد في

- المسند (5/1) .. والحاكم البيهقي من حديث علي بن أبي طالب ، وأحمد والنسائي والضياء من حديث أنس ( انظر الفتح الكبير ( 504/1 ) ، والشافعي في سننّه (509/2) إلخ ...
- 65 - انظر تاريخ الرسل والملوكم للطبري ج 2 صص : 233 ، 236 ، 237 ،  
والكامل في التاريخ ج 2 صص 325 - 326 .
- 66 - تهذيب السيرة ص 400 والكامل في التاريخ ج 2 صص 324 - 325
- 67 - تاريخ الرسل والملوك ج 2 ص 235 ، والكامل في التاريخ ج 2 ص 327 .
- 68 - الكامل في التاريخ ج 2 ص 329 وتاريخ الرسل والملوك ج 2 صص 242 - 243
- 69 - أنظر قول أبي بكر وهو يستخلف عمر : تاريخ المدينة المنورة لابن شبة ج 2 ص 665 ،  
وقول عمر عند بدئه في سنة الثوري ، تاريخ المدينة المنورة ج 3 ص 889 .
- 70 - تاريخ المدينة المنورة ج 2 صص 666 ، 667 ، 668 .
- 71 - تاريخ المدينة المنورة ج 3 صص 889 ، 926 وتاريخ الرسل والملوك ج 2 صص  
580 والكامل في التاريخ ج 3 صص 65 - 75 .
- 72 - قال عثمان وهو على وشك السقوط : " طال عليهم أجلي فاستعجلوا القدر " : تاريخ  
المدينة المنورة ج 4 ص 1161 ...
- 73 - قال عثمان : ما كنت لأخلف سريلاً يسئني الله " : تاريخ المدينة المنورة ج 4 .
- 74 - انظر جوائب من سياسة عثمان بتاريخ الرسل والملوك ج 2 صص 645 - 646  
وتاريخ المدينة المنورة ج 3 صص 1091 ، 1099 ، 1135 .
- 75 - انظر وصف مقتل عثمان بتاريخ المدينة المنورة ج 4 صص 1232 - 1233
- 76 - تاريخ المدينة المنورة ج 4 صص 1254 - 1271 .
- 77 - تاريخ الرسل والملوك ج 2 ص 233 ( قالت الأنصار : لا تباع إلا عليا ) والكامل في  
العصر الأموي لأحمد محمد الحوفي ط 5 نهضة مصر للطبع والنشر صص 25 ، 29 .
- 78 - من المؤلفات التي يمكن مراجعتها في هذا المجال : مقدمة ابن خلدون صص 127 ،  
166 والعصبية والدولة لأحمد عابد الجابري ط 2 ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء .
- 80 - اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان لابن أبي الضياف ، الدار التونسية  
للنشر 1989 ، ج 1 صص 11 - 12 .
- 81 - ديوان أبي الطيب المتنبي تحقيق عبد الوهاب عزّام ، دار المعارف للطباعة والنشر ،  
سوسة تونس ط 1 . 1991 ص 483 .
- 82 - ديوان أبي الطيب ص 92 .



## مقاربة انشائية لتحليل قصيدة مدحية

### لأبي الطيب المتنبي

بقلم : عبد الرزاق السومري

\*يقول الفيلسوف الألماني ايمانويل كانط : >> الفن ليس تعبيراً عن الأشياء الجميلة

بل هو جمال التعبير عن الأشياء >>

- ولقد وما في الموت شك لواقف -

1- ولقد وما في الموت شك لواقف  
تمر بك الأبطال كلهم هزيمة  
تجاوزت مقدار الشجاعة والتهنى  
ضمت جناحيهم على القلب ضمة  
5- بضرب أتى الهامات والنصر غائب  
حقرت الرذائل حتى طرحتها  
ومن طلب الفتى الجليل فائماً  
نثرته فوق الأحيدب كله  
تنوس بك الخيل الوكور على الذرى  
10- تظن فراغ النتج أنك زررتها  
إذا زلفت مشيتها ببطونها  
أفي كل يوم ذا الدمشق مقدم  
أينكر ريح الليث حتى ينوته  
وقد فجعته بابنه وابن صهره  
كأنك في جفن الردى وهو نائم  
ووجهك وضاح وتغرك باسم  
إلى قول قوم أنت بالغيب عالم  
تمسوت الجوافي تحتها والقوادم  
وصار إلى اللبات والنصر قادم  
وحشى كان السيف للرمح شتام  
مفاتيحه البيض الخفاف الصوام  
كما نثرت فوق العروس الدراهم  
وقد كثرت حول الركور المطاعم  
بأمتها وهي العتاق الصلّام  
كما تتمشى في الصبيد الأراقم  
قفاه على الإقدام للوجه لأنم  
وقد عرفت ريح الليث البهائم  
وبالمهز حلمات الأمير العواشم

- مَضَى يَشْكُرُ الْأَمْحَابَ فِي فَوْتِهِ الضَّبِّ  
وَيَقْفَهُمْ صَوْتُ الْمَشْرِقِيَّةِ فِيهِمْ  
يُسْرُ بِعَمَّا أُعْطَاكَ لَا عَنْ جَهَالَةٍ  
وَأَسْنَتْ مَلِيكًَا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ  
تَشْرَفُ عَدْنَانُ بِهِ لَأَمْ رِبِيعَةٌ  
- لَكَ الْحَمْدُ فِي الدَّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ 20

بِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالْمَعَاصِمُ  
عَلَى أَنْ أَصْوَاتُ السِّيُوفِ أَعَاجِمُ  
وَلَكِنْ مَقْنُونُنَا نَجَا مِنْكَ غَانِمُ  
وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشُّرْكَ هَازِمُ  
وَتَقْتَضِرُ الدُّنْيَا بِهِ لَا الْعَوَاصِمُ  
فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّي نَاطِمُ

#### الديوان : الجزء الرابع

ص 101-102-103-104-105-106

#### شرح وتحقيق : عبد الرحمن البرقوقي

تقديم : يقول تودوروف : « إننا نشعر عبر كل عمل أدبي - وليس هو إلا « قولاً » بوجود « لغة » يكون العمل تحقيقاً لها وتمثيلاً » ويقول أيضاً : « إن الإنشائية لا تدرس الشعر أو الأدب ولكنها تدرس الشعرية أو الأدبية . فالأثر الخاص ليس غايتها القصوى وإذا وقفت عند أثر بون غيره فبالأنه يكشف بأكبر وضوح خاصيات الكلام الأدبي » ثم أضاف بعد « تودوروف » « جاكوبسون » معرفاً موضوع الأدب في جملة واحدة : « إن موضوع علم الأدب ليس الأدب بل الأدبية : la litter- arite » أي العوامل التي تجعل الأثر أدبياً أو بعبارة أخرى الميزات التي يكون بها الأثر أثراً أدبياً ، وكل دراسة تتناول الأثر الأدبي من الوجهة النفسية أو الاجتماعية أو غيرها تخرج عن نطاق علم صناعة الأدب أو « الأدبية » لتدخل في نطاق العلوم الإنسانية من علم اجتماع أو علم نفس أو غيرها .

انطلاقاً من هذا المبدأ الأساسي الذي ننطلق منه في دراستنا للقصيدة مدحية لأبي الطيب المتنبي أردنا أن نحصر اهتمامنا في نطاق النص ، فمنه نبدأ وإليه ننتهي ، لا سيما وأننا نروم من خلال هذه المقاربة البنوية فكّ الخيوط عن النظام المكون للنص من حيث هو كلام أدبي والوصول إلى تحديد كل الوحدات الدالة فيه بداية من أكبرها

الذي هو النص وصولاً إلى أصغرها : الذي هو الصوت » -la phonologie  
 «١٤» ، ولعلنا بذلك نكون قد تمكنا البعض القليل من سرِّ جماليَّة هذه القصيدة  
 مبني ومعنى ومعنى .

تقديم القصيدة : قيلت هذه القصيدة بمناسبة بناء قلعة الحدث ، بناها سيف  
 الدولة في بلاد الروم سنة ثلاث وأربعين وثمناة ، وفي يوم البناء نازله الدُمستق في  
 نحو خمسين ألف فارسٍ وراجلٍ ووقع القتال من أوَّل النَّهار إلى العصر ، فحمل عليه  
 سيف الدولة بنفسه وظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقاً كثيراً فقتل  
 بعضهم وأقام حتَّى بنى القلعة ووضع بيده آخر شرفة منها .

### — الهيكل العام : ١

هندسة القصيدة من الوجوه الفنية البارزة فلقد تأسست على ثنائية أولى  
 تصادمية على مستوى الضمائر :



أنت ————— الممدوح ( وَقَفْتُ )

هو ————— الدُمستق ( مضى )

إلى ثنائية ثانية تكاملية بين الشاعر والممدوح :

أنت ————— الممدوح ( إنك معطيه )

= ثنائية تكاملية

أنا ————— الشاعر ( إنني ناظمُ )

فمن تصوير الصراع والتنازع في أوَّل القصيدة نتحوَّل في الأخير إلى ما يشبه  
 التوحد بشكل غنائي بين الشاعر والممدوح بين قوَّة السيف وقوَّة الشَّعر وانتصار  
 العروبة وانتصار الإبداع .

يمكن لنا أنن من جهة أخرى أن نوزع هيكل القصيدة إلى ثلاث حركات متعاقبة  
 في القصيدة : تبدأ : أولاً : بتصوير الهجوم والإستبسال والإقدام ، ثم ثانيا :  
 تصوير الهزيمة والإدبار والفرار وثالثا : التغني بالانتصار : وبين الحركة الأولى

والحركة المضادة تتوسط الحكمة (ومن طلب الفتح الجليل) فكانها تلعب دور  
الوقفة : Pause في القصيدة لاستخلاص الدروس والمعاني والعبر .

— تصوير الخصال : الشجاعة والنهى

— الهجوم والإقدام ( سيف الدولة ) الجيش ( ضمنت جناحيهم )

— تصوير الأفعال السلاح ( بضرب أتى الهامات )

الخيال ( تنوس بك الخيل )

تصوير ساخر لمحاورة بين القفا والوجه

تصوير ساخر لمحاورة بين الرقبة والمعاصم

تصوير ساخر لمحاورة بين الدمستق والسيف

مع أن أصواتها « أعاجم »

— الفرار والإدبار ( الدمستق ) —

— التغني بالانتصار :

انتصار الإسلام ( التوحيد للشرك هازم )

انتصار العروبة ( تشرف عدنان لا ربيعة )

انتصار الشعر ( إنك معطيه وإنني ناظم )

انتصار جملة من القيم

وهو انتصار لثلاثة أنواع من القيم : دينية ، سياسية وشعرية أدبية . أمّا من  
الناحية التركيبية فنلاحظ اتجاه القصيدة من النزعة الاخبارية (نقل وقائع المعركة )  
إلى النزعة الإنشائية ( التغني بالانتصار ) وإذا كانت القيمة الإخبارية محدودة فإن  
القيمة الإنشائية أو الإيحائية كبيرة جداً ، كما أنه من علامات الأدبية في القصيدة  
إضافة إلى نظامها البنيوي الطريف شبكة العلاقات التي يقيمها الشاعر مثلاً : بين  
الرمح والسيف أو بين الخيول والطيور : فقضاء القصيدة فضاء حيوي ملحمي  
أسطوري قائم على جملة من العلاقات والصور التي تعتمد التخيل والخيال :  
l'imagination et le fantastique 1، وهكذا نرى وأن عمق

الإبداع في هذه القصيدة يتأسس على ما تتضمنه من : - خيال - تشكيل - بلاغة  
- الوحدة الأولى : الهجوم والإقدام

تكاد تكون هذه الوحدة وحدة قصصية نظرا لما تتضمنه من وظائف سردية تتصل بجملة من الأحداث والأفعال المنسوبة إلى المدحوخ : وقفت - تجاوزت - ضممت - أتى الهامات - صار إلى اللبّات - حقّرت - طرحتها - نثرتهم - مشيتها - فجعته : هذا الأسلوب السردى يقوّى القبعة الإخبارية للقصيدة وينزعُ بها منزعا قصصياً ( تاريخياً ) بما هي نقل لمعركة تاريخية بطولية بين سيف الدولة والدمستق لكن طريقة التصوير والتشكيل الفنّي للمعركة تنزع هي الأخرى بالقصيدة منزعا فنياً جمالياً بما هي إخراج شعريّ لواقعة تاريخية وتصويرُ لها بواسطة الكلام : إذا أمكن لنا أن نتمكّل هذا التراوح في القصيدة بين القصصى التاريخي والشعري الفني وبين الواقعي والخيالي وعلى مستوى التركيب بين الأسلوب الخبري والأسلوب الانشائي ويمكن أن نقول مسبقاً إنّ الوصف والتصوير هو الذي ارتقى بالقصيدة إلى مستوى الأدبية : la litterarite وهذا التصوير الفنّي لم يحاك الواقع ( المعركة ) وإنّما أعاد خلق الواقع بشكل فنّي وأعلى للقصيدة كينونتها الخاصة وعالمها الخاص .

- تصوير الخصال : البيت 1+2+3

تركزت هذه الوحدة الصغرى على تعميق معنى الشجاعة أوّلاً ( البيت الأوّل ) والنّهى ثانياً ( البيت الثاني ) ثم يلخّص الشاعر المعنيين معا في البيت الثالث بقوله : تجاوزت مقدار الشجاعة والنّهى ، لكن الطريف في هذا الجزء تتمثله في توسيع وتعميق صفة الشجاعة والإقدام وإعطائها بُعداً إطلاقياً يتنزّه عن شجاعة البشر وكذلك صفة النّهى وما تتطلبه من عزمٍ وجلدٍ وصبرٍ على المخاوف : فما أظهره الملوّح من إقدام ورياسة جاشٍ تجاوز به حدود الشجاعة والعقل فكأنّه يقف على جفّن الموت وهو نائم يبيصره أو غفل عنه بالنّوم أو لكأنّه يعلم الغيب ويعرف عواقب الأمور قبل حلولها : فما اقتحمه من الأهوال لا تثبت أمامه شجاعة وما أظهره من

الصَبْر والعَزْم لا يكفي في مثله العقل والرصانة ، فكأنه قد كُشِفَ بالغيِب وعَرِفَ أن العاقبة له فُلْتٌ وضاحاً باسمُ ساخرُا من الموتِ والأهوالِ .

إضافة إلى ظاهرة الإيغال والذهاب بالمعنى إلى أقصاه استطاع المنتبّي أن يجمع في ذات الممدوح صفات قلما تجتمع عند الإنسان إن لم نقل أنها صفات تتعارض وتتضارب خاصة إذا ما تعلّق الأمر بالشجاعة وما تقتضيه من قوّة في القلب واندفاع وإقدام ومن جهة مقابلة نجد قوّة العقل والنّهى وما يتطلبه من رصانة وحكمة وحلم : صفتان تتعارضان لكنهما تتكاملان عند الممدوح وما سيأتي في القصيدة بعد هذا الجزء ما هو إلا تمثيلٌ واستدلالٌ على هذين المعنيين ( الشجاعة والنّهى = قوّة القلب وقوّة العقل أو القوّة المنطق القوّة ) : فالشاعر يبدأ بتقرير وإثبات هذين الصفتين في شخص الممدوح ثم يأتي باقي القصيدة كتبرير وتفسير وتفصيل للمعنيين الأساسيين : الشجاعة والنّهى : فالقصيدة من هذه الناحية تتخذ سيراً جديداً يتّجه من التقرير إلى التبرير ومن الإجمال إلى التفصيل ومن الخصال إلى الأفعال ومن النّظري إلى التطبيقي .

ب - تصوير الأفعال : البيت 4+5+6+7+8+9+10+11

يتوسّط هذه الوحدة الصغرى الثانية بيتاً حكماً سنعتبره وحدة مستقلة تركيبياً لكنها متّصلة معنوياً بأبيات سابقة ولاحقة في القصيدة : فهذا البيت هو وقفة القصيدة ( Pause ) وعبرتها وسفرجى شرحه إلى ما بعد هذا القسم الثاني كما وسّع المنتبّي المعاني الخلقيّة في الوحدة الصغرى الأولى ( الشجاعة والنّهى ) وشع كذلك الصورة الحربيّة في الوحدة الصغرى الثانية وجعلها تفيض على المكان ( صورة الجيش - صورة السلاح - صورة الخيل ) : يجعل صورة الجيش أشبه بصورة العقاب أو الطير الكاسر الذي يطبق بجناحيه على الفريسة ونرى ذلك في تشبيه ميمنة الجيش وميسرته بالجناحين ثم جعل له خوافي وقوادم وهي من الرّيش وهذا التشكيل الفنّي لصورة الجيش يصبّ في تعميق معنى أساسي : قوّة النّصر والبطش التي هي من القيم الجاهلية القديمة الموروثة .

أما الصورة الثانية : فهي صورة أقرب إلى المحاوراة الخيالية البديعة بين السيف والرّمح : فنرى السيف شاتما ساخرا من الرّماح (الردينيّات ) لأنها سلاح الجبناء أما هو فسلّاح الشجعان ، لاقتضائه المقاربة بين الفريقين في القتال لهذا صاغه الشاعر وكأنّه يسبّ الرّمح بالضعف وقلة الجدوى فأحتقره المدحوح وأثر السيف نونه فنازل به العدو وما إن أتى على الهامات وصار إلى اللّبات حتّى تحقّق النّصر : وهذه الصّورة الثانية تأسست على تعميق معنى أساسي ثاني متّصل بالأوّل : سرعة النّصر والبطش وهو معنى قديم موروث هو الآخر .

الصّورة الثالثة انبثت هي الأخرى على علاقة طريفة خيالية بين الخيول والطيور : فهي تتبع الأعداء وتطاردهم إلى أعلى الجبال حيث وكور جوارح الطير فتقتلهم هناك حتّى تكثر المطاعم حول وكرها فظننت فراخ العقبان وأنّ الخيل أمّا تا لها لما بلغت أوكارها وحملت إليها جثث القتلى طعما لها : هذه الصورة استهدفت إبراز معنى السرعة والشدّة والقوّة في نفس الوقت ، فالمدحوح يدرك العدو في أبعد غايات الأوعار وأعسرهما ، سلاحه في ذلك الخيل التي نراها تارة كالعقبان شدّة وسرعة وضعمورا وتارة أخرى كالأراقم عندما تنزلق وتمشي على بطونها .

هذا التوسيع الكبير للصّور الثلاثة جعل من القصيدة جملة من المشاهد الملحميّة (Epiql) القريبة من عالم الأساطير والخوارق وهذا يتأسس بالدرجة الأولى على بناء الصورة بناء مخالفًا للمعقول والمألوف وفي الدرجة الثانية نراه في طاقة الخيال والرؤيا التي بلغتها هذه الصّور وذلك بالتزيّد والمبالغة في الوصف إلى حدّ » الإشراف على الإحالة « على حدّ عبارة حازم القرطاجني . المهمّ وأنّ الصورة عerie في شعر المتنبي هي علامة كبرى : Macrosigne تنضأف رلى ة الصغرى : Microsigne : فالصورة لا تدلّ كاملة ومتكاملة : فهي كلّ لا يقبل التجزئة ولذلك فهي دالّة بحصيلة لأجزائها ، فكأنّما وسيلة التعبير عند المتنبي هي : المشهد والصورة بقدر ما هي الكلمة أو اللفظ المفرد أو العلامة وهذا أساس الفعل الإبداعى في الشعر بما هو : « ضربٌ من ضروب التصوير » كما

قال الجرجاني في « دلائل الإعجاز » وفضل المتنبي في ذلك لا يتوقف على مجرد التصوير أو التعبير بالصُّور بل نراه في استلهاهم صور الشعر القديمة المعروفة والمألوفة ثم تطويرها وشحنها بطاقة أكبر من الخيال والتخييل وكما قال الأستاذ مبروك المناعي : « لقد وسَّع المتنبي مجال الخيال في الشعر العربي ومدَّ في طاقته الرويائية واستطاع دائما أن يجدَّ العبارة المناسبة لرؤياه »

ج - الحكمة : هذه الحكمة تخلَّت القسم الأوَّل من القصيدة : قسم تصوير الهجوم والإستبسال في مطاردة العدو : لذلك نراها لأوَّل وهلة متضاربة مع سياق الوصف الحماسي للحرب لكن عند قراءة متأنية نجد أنَّها حكمة تأييدية لا تستقل بذاتها بل تبرَّر ما سبقها وما سيلحقها : فهي وقفة تأمل في معاني وعبر المعركة : وهي البعد الإنساني للقصيدة حيث لا يتحقق التقاطع بين الشاعر والممدوح فقط بل أساسا بين الشاعر والقارئ الإنسان بما هو عنصر يتعلَّم من الحكمة ، ولقد ميَّز البيت إغراقه في التجريد والعمومية والإطلاق .

### ومن طلب الفتح الجليل فإنما مفاتيحه البيض الخفاف الصوَّارم

يتجلَّى الإطلاق أوَّلًا في الإسم الموصول : من الذي يخصَّ كلَّ كائن عاقل أي كلَّ إنسان بالتحديد سيف الدِّولة ، ثم نرى الإطلاق كذلك في عبارة الفتح الجليل معرفة بالآلف واللام وهي عبارة تعني كلَّ نوع من أنواع الفتح ثم يواصل الإطلاق في عبارة « مفاتيحه البيض » : مغرقة في العمومية والتجريد : فالبيت كلُّه مغرق في الإطلاق : الإنسان - الفتح - السلاح وتلك هي مقتضيات الحكمة بما هي حقيقة مجردة تتجاوز وتغيض على مكانها وزمانها ، ولعلَّ الحكمة هي سرُّ خلود شعر المتنبي وأزليته ولعلَّها كذلك مصدر نبوَّته الشعرية وإحدى مظاهر البعد الإنساني والكوني في شعره .

### الوحدة الثانية - الفرار والإدبار : 12-13-14-15-16-17

وهي الوحدة المقابلة للوحدة الأولى : فمن تعظيم قدرات الممدوح والإشادة بأفعاله الخارقة وصفاته المطلقة نخلص في هذه الوحدة الكبرى الثانية إلى أسلوب جديد



وهو الوصف السّأخر الذي يرمي إلى التحقير والتشهير من شأن الدُمستق وهكذا ننتقل في هيكل القصيدة من سياق المواقف الجليلة الجادة التي يغلب عليها جَوْ الرُّعبَة إلى سياق موقف مقابل : هو الموقف السّأخر المضحك لصورة الدُمستق الذي فرَّ هارباً : والسخرية في القصيدة مكوّن هامّ لعنصر المتعة والطرافة يضاف إلى الأدبيّة ولعلّ الأسلوب السّأخر بما هو امتداد لذروة الرُّعبَة والبطش التي بلغت الوحدة الأولى ، تشعر القارئ بالقسم الأخير الذي هو تغنيّ بالنّصر واحتفال بالظَّفَر : فالسخرية إذا تلعب دوراً بارزاً في السير بالقصيدة في اتجاه معاكس ، يخرج بها عن طابع الجدّ وعن عالم الحرب والموت والبطش ويدخل بها في عالم جديد ، يكتسي طابعاً احتفالياً تتحوّل من خلاله القصيدة إلى ما يشبه نشيد النصر هذا القسم الثاني الذي تركّز مضمونه على تصوير حركة الفرار والإدبار تضمن ثلاث صور ساخرة من نسج وتشكيل الشّاعر :

– الصورة الأولى : هي صورة الوجه والقفا في شكل محاورة طريفة مضحكة : فالقفا يلوم الوجه ويشتبهه لأنّه أقدم وتعرّض بسببه إلى الضرب ، ولعلّ حركة « الدُمستق » وهو يتلقّى الضرب في قفاه كافية وحدها لتشكيل السخرية قبل هذا الحوار .

– الصورة الثانية : هذه الصورة تأسست على نوع من التمثيل ( ضرب المثل ) أريدُ من خلاله التحقير والتصغير ، فنرى « الدُمستق » أجهل من البهائم لا يدرك موضع الخطر من الأمن ، فالبهائم إذا شمّت ريح الأسد وقفت ولم تتقدّم ، و « الدُمستق » يعرف قوّة سيف الدولة ويدرك مبلغ خطره ومع ذلك يأتيه مقاتلاً ثم ينهزم ولو انهزم بنون قتال لكان أحزم ، وتتدرّج السخرية صُعداً إلى أن تصل نُرونها في الصّورة الثالثة .

– الصورة الثالثة : السخرية في هذه الصورة نستنبطها من أسلوب الذم بما يشبه المدح وقلب جملة من المفاهيم ، نرى من خلالها « الدُمستق » شاكرّاً لأصحابه لأنّ السيوف اشتغلت بهم عنه فكأنّهم وقوة برؤوسهم وأيديهم ثم يجعله الشاعر

مسروراً بما خسره من جيشٍ وأسلحةٍ وأمتعةٍ لأنها كانت كالغذاء له فيصوره غانماً وإن كان مغنوماً ، فروح السخرية إذ نستنبطها من عنصرين اثنين :

- عنصر الحركة أو المشهد : حركة الدمستق وهو يتلقى الضرب في قفاه ويجد في الهرب خاصة إذا سمع صوت وقع السيوف في أصحابه ، فكأنها تنذرهُ وتتوعده بما ينتظره رغم أن أصواتها عجماء .

- الوصف والتصوير الذي يبنى على جملة من العلاقات الطريفة الهازلة مثل حوار الوجه والقفاء ، حوار الدمستق مع السيوف .

لئن اعتمد التصوير في الوحدة الكبرى الأولى على مبدأ التسامي والإعلاء بشكل خيالي أسطوري من قدرات الممدوح وأفعاله ومناقبه جاء التصوير في الوحدة الكبرى الثانية بشكل مقابل يغلب عليها التحقير نازلاً بشأن العدو ( الدمستق ) إلى مرتبة الحيوان أو أقلّ وهكذا ، كما أفلح الشاعر في البناء والإعلاء أطنب كذلك في عملية النقض والهدم والتحقير لذلك تظل القصيدة من هذه الناحية متراوحة بشكل جدلي بين نزعتين : نزعة التحسين والتعظيم ومن جهة ونزعة التقبيح والتحقير من جهة ثانية .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

**الوحدة الثالثة - التفنن بالانتصار :** تقوي في هذا القسم النزعة القيمية ونراها في وفرة المصطلحات السياسية والدينية والفكرية ( التوحيد - الشرك - مليكا - عدنان - ربيعة - العواصم - تشرف ... ) وبهذا الشكل يكتسي الخطاب في القصيدة وظيفة إبلاغية : تعليم بعض القيم الدينية والسياسية والشعرية إضافة إلى وظيفته الإنشائية التي هي الوظيفة الأساسية ( fonction poétique )

والتي تتمثل في إثبات أدبية النص . ويمكن حصر هذه الوظيفة الإبلاغية في ثلاث معان أساسية : الإسلام والعروبة والشعر فانتصار سيف الدولة على الدمستق هو هزيمة للشرك أمام ديانة التوحيد التي هي الإسلام وفخر للعرب ولجميع الدنيا (البعد الإنساني ) وأخيراً فخر للشاعر وانتصار للقصيدة بما هي نص يتكون من ألفاظ . ولقد جاءت الصورة في البيت الأخير على غاية من الطرافة والإنحراب ، إذ

شَبَّهَت القصيدة بالقلادة أو العقد درره من صنع الممدوح أما نظمها في سمط فهو من نسج الشاعر وهي صورة مثالية عن علاقة التوحد والتناغم والانسجام بين الشاعر والممدوح : الممدوح يعطيه المعاني والشاعر يصنع الألفاظ : أنموذج طريف من تكامل قوة السيف وقوة اللسان . وهكذا تبدع القصيدة الحماسية في اتجاهين اتجاه حربي : فهي موسيقي الحرب التي تشحذ العزائم وتلهم القوة وتخلد الانتصارات .

اتجاه شعري : تفعل به في نفسها : معجما وصورا وأخيها وإحياءات ما لا يفعل أي مصدر إلهام في الشعراء : هذا وجه من وجوه عظمة هذا الزوج التاريخي (المتنبى سيف الدولة ) إذ أحدث الأول سيف الدولة الحرب وأبدع الثاني متنبى الشعر .

إنَّ النَّظْرَ كذلك في جملة القيم المدحية التي تضمنتها القصيدة تكشف عن تراوح بين اتجاهين إثنين : اتجاه تقليدي موروث حامل لقيم قديمة قبلية جاهلية مثل : الشجاعة ، النهي ، رباطة الجأش ... إلخ واتجاه ثاني وليد التطور ونابع من روح العصر ومقتضياته يحمل قيما جديدة تتعالى على الاطار القبلي الضيق ليشمل الانسان ، فجدد قيم سياسية ودينية وشعرية نابعة من إحساس ووعي جديد يعلو على الوعي القبلي ويخرج عنه سنن المدح القديمة .

المهم هو أن تتمثل الخصائص العامة لهذه القصيدة الحاملة لقيم مدحية موروثية تقليدية وأخرى جديدة وليدة التطور ولعلَّ هذا التراوح لا يمسُّ المعنى فقط بقدر ما نراه جلياً في المبنى والأسلوب وجملة الخصائص الفنية الجامعة بين التقليد وروح التجديد ، وهكذا يمكن لنا أن نسم الفعل الإبداعي عند المتنبى بوصفه جدلياً تاريخياً ينبع من صلب القصيدة الأصلية وليس إبداعاً عديمياً مثالياً يتعالى على الماضي ويقطع مع الموروث : فنصَّ المتنبى ينهض على نصوص أخرى يحتويها ثم يتخطاها ، يستعيد ها ثم يثريها ولعلَّ هذا الفعل لا يقدر عليه إلا من كان مسكوناً

بها جس كهاجس المتنبي الذي هو : إحياء العروبة سياسياً وحضارياً وشعرياً  
وقيماً .

المدخل الصوتي العام :

ليس للأصوات اللغوية قيمة في حد ذاتها بقدر ما تكتسب قيمتها من اشتراكها  
وانسجامها وترددها في القصيدة لذلك سنحاول البحث بالاعتماد على اللسانيات  
على الأصوات والأجنبية الصوفية والتراكيب النحوية التي يمكن أن تشكل أنوار  
تعبيرية تتساوى مع الكلمات ويمكن أن تشكل إحدى النواحي الجمالية في القصيدة  
أهم السمات الصوتية التي تميزت بها هذه القصيدة هي ظاهرة :

الجر أولاً والتفخيم ثانياً :

من أهم الأصوات المجهورة صوت الجيم الذي نجده في الكلمات التالية :

جفن، وجهك، تجاوزت، جناحيهم، الليل، الوجه، فجعت، أعاجم، جهالة،  
نجا.

أما التفخيم فهو غالب في القصيدة ونجده في صوت الطاء والضاد والصاد  
والضياء الأبطال، وضاح، ضمنت، ضمة، بضرب، النصر، صار، طرحتها،  
طلب، البيض، الصوارم، المطاعم، يظن، الصلاد، بطونها، الصعيد، مهره،  
مضى الأصحاب، الضبى، المعام، صوت، أصوات، أعطاك، نظيره،  
العواصم، لفظة، معطيه، ناظم.

كل هذه العناصر الصوتية من جهر وتفخيم عندما نضيفها إلى غنة الحروف  
المفخمة الخيشومية نلمس قوة النزعة التمجيدية التي تأسست على تضخيم وتفقير  
قدرات المدح وما المدح إلا تفخيم وتضخيم (goufflage)

وهكذا تقوى الوظيفة التأثيرية (المخاطب : أنت) على بقية الوظائف بينما تغلب  
الوظيفة التعبيرية في الأخير (المتكلم أنا : إنني ناظم) عندما يلوح الفخر فجأة .

إضافة إلى السمات الصوتية فإن القصيدة لها نظامها الإيقاعي الخاص المتميز  
والمتماثل في وحدات كلامية مرة تتسع ومرة تضيق وهي :

فعلولن لا -- لا -- وهي تفعيلة البحر الطويل وهو بحر خضُمٌ بطيئٌ  
مفاعيلن لا --- الايقاع ويستوعب ما لا يستوعبه غيره من المعاني ويتسع  
للفخر والحماسة والتشابيهِه وسموُ الحوادث وتكوين الأخبار ووصف الأحوال فكان  
النظم فيه أقرب إلى الشعر القصصي ، وله إيقاع متنوعٌ من ناحية البطء والسُرعة  
( فعولان : المتقارب : سريع - مفاعيلن = الهزج : بطيء ) وهذا التنوع يثري  
القصيدة ويخلصها من الرتابة إذا ما قرئ بتفعيلة موحدة وإيقاع متكرر ، فالتنوع  
له سمة جمالية خاصة في المراحة بين حال الشدة وحال الرقة في القصيدة فهو  
أصلح لمشاهد العنف والحرب كما هو أصلح لحالات اللين والرفق .

قافية القصيدة له أساس تركيبى واحد وهو صيغة : فاعل وهي الصيغة الغالبة :  
بَاسِمٌ - عَالِمٌ - قَادِمٌ - شَاتِمٌ - لَائِمٌ - غَانِمٌ - هَانِمٌ ( ناظمٌ منسوبة إلى الشاعر ) هذا  
التركيب يهدف إلى إبراز النزعة الفاعلية في القصيدة : فلا فاعلٌ إلا المملوح وهو  
الفاعل الأودد والأملل إن لم نقل هو قافية القصيدة ومركزها الأول .

هكذا نرى النص نسيجاً محكماً في جميع المستويات : هيكلية وبنوية وإيقاعية  
وصوتية ومعنوية ، نلاحظ كذلك جدلية بين جمال المعركة وجمال القصيدة ، فهل وكَدُ  
جمال القصيدة من جمال المعركة ؟ أم كان مستقلاً عنها أم تولد جمال المعركة من  
جمال النص ؟

السيم الكريمة للإنسان بمنزلة السك في سر الغزلان. غير ان  
طبيب هذه يعبق بالأنوف وطبيب هذه يعبق بالأذان. وقد جعل تفاوت  
المزية بين هذين الطبيين فرقاً. فأحمدهما يبقى دائماً ولا يذهب.  
والأغمر يذهب ولا يبقى.

ابن الأثير

## لَا الصَّبَابَةَ وَحْدَهَا تَكْفِي ...

شعر: محسن الكريفي

... دَعْنِي أُسْكِبُ صَخْبَا  
مَا فَاضَتْ بِمِثْلِهِ الشُّطُنَانُ ...  
وَأُرَاهِنُ مُقَلَّةً ...  
تَهْمِي نَارًا وَجِنَانًا ..  
فَلَا الصَّبَابَةَ وَحْدَهَا تَكْفِي ...  
وَلَا بَجْرٌ مِنَ الْوَجْدِ ..  
حَطَّ عَلَى سَوَاحِلِهِ الْيَمَامُ ...  
\* \* \*

دَعْنِي أَكُوِّرُ عُمُقَ الْمُصَابِ ..  
فِي حَدَقِي ...  
وَأَسَافِرُ فِي لَيْلٍ ..  
فُتَاتٌ مِنْهُ اِكْتِنَابٌ ...  
وَأَسَامِرُ حَرَقَةِ الْجَرَحِ ..  
سَهْدَ التَّبْرِيحِ هَدَاتِهِ ..

طَوَّحَ بِهِ الدَّوَامَ ..  
أَضْحَى دَمَهُ الْمُسْفُوكُ نَزَافًا ..  
يَتَشَهَّى هُدْنَ الْوَيْثَامِ ...  
\* \* \*

دَعْنِي أَتَجَهَّدُ سُخْطًا ..  
فَالْهَوْلُ سِفْرٌ ..  
مَحْفُورٌ كَبِيدًا ...  
وَالْمَرْسَى لَيْلٌ لِلشَّجَا ..  
بَدْرٌ يَهْوَى التَّيَامَ ...  
\* \* \*

ARCHIVE  
<http://Archivebeta.sakhr.it.com>

... وَكَيْفَ أَسْكُنُ فِي الظُّهَيْرَةِ خَاشِعًا  
وَهَذَا الطَّيْفُ بَحْرٌ غَمَامٌ ؟  
فَتَتَّبِعُهُ فِي كَفِّي الشُّمُوسُ  
وَيَزْدَهِي فِي الرَّاحَةِ  
خَلْبُ الْأَنْعَامِ ...  
\* \* \*

دَعْنِي أُرَمِّمُ فِي الْبُعْدِ شَرْخًا  
يَنْسُجُ دَرْبًا لِلْكَلَامِ ...  
أَيْنَ مِنِّي عَلَى مَدْنِ الْهَدِيلِ

وَسَرَايَا تَشْهَقُ صَمْتًا ...

وَحَلَاحِيلُ تَعْرِفُ ...

... أَلْفَ الْمَوَائِلِ .

... وَأَلْفَ أُغْنِيَةٍ ...

يُسَامِرُهَا الْمَلَامُ ... ؟ ...

\* \* \*

عُجَّ بِي عَلَى كَوَى الْهَدِيلِ ...

رَنَحَ كُلُّ النُّوَاغِذِ بِالشَّنْدَى

وَامَلَأَ السُّحْبُ الرُّوَاسِي رُؤْيَ ...

وَاتَرَحَّ هَامَةً الْأَمَادُ ...

تَوَقَّأَ لَا يَنَامُ ... <http://Archivebeta.Sakhril.com>

فَأَنْتَ الْمَجِيءُ مِنْكَ لَمْحٌ ...

أُخْصَبَتْ كُلُّ الرُّبَى ...

م . ك مسقط في 16 / 12 / 1994



## صهيل القوافي

شعر : الأزهر النفطي

[ مهداة إلى روح أبي القاسم الشابي ]

هل سمعت من صدى أشعارنا      نبرات الوصل والعشق الأسير  
تناجني تحت رقرق الندى      ذات ليل عبر أمواج الأثير  
هامسات بالمعاني في كيانني      رائعات ألحنا ألفاظ الحرير  
لمسات من تباريح الجوى      تتنامى في قواريح العطور  
قطرات من تفاصيل الرؤى      تتجلى من زوايا شعور  
كلمات خاتمت أهل الهوى      بالحروف الغر ساعات العبور  
صادحات راودت مشاقها      بدرو بالفن والقول المثير  
في بلاد أَرْضعت أشعارنا      صادق الحب والوفاء الكبير  
يا هديلاً أفعم الأرض شذى      حين ساس الكون بالصوت الجهير  
يا نبياً قاسم القوم أسى      في صروف القهر والظلم المرير  
ضارع الشعر وغنى الحياة      للمروج الخضِر للوادي النظير  
للحيارى في متاهات الطريف      للجراح الكثر لليوم المطير

للفصول الغر للفجر الجديد      للرعاة السمر للطفل الصغير  
 لإنبجاس النور من ليل النواح      في رحاب الصمت والنص العسير  
 رتل الشعرو أفضى للخيال      من ظلام الليل بالصبح البشير



ثم صا إلى عند محراب الهوى      صلوات الحب والذل الوفير  
 مازج اللفظ بأوراق الخريف      بفنون القول لها الدمع الغزير  
 أغنيات عرشت في أضلعي      تسكب الآن على مر العصور

# عشرون مرّة وبعض الأعوام



شعر : علياء بن محمد

عشرون مرّة وبعض الأعوام  
فسيجّل على دفاتر الأيام  
على أوراقك الصّفراء بكلّ الأقلام  
على جنوّك

على ثورتك ... على الأحلام  
عشرون مرّة وبعض الأعوام

قلن أطفئ الأضواء  
ولن أسدل الستائر  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولن أنفخ في الشمع  
ولن أحتفل بسفري على مركب الأيام

ولن تهديني خاتم ألماس

لن تُردّد لي أحلى الكلام !

عشرون مرّة وبعض الأعوام

فكلّ عام وأنا امرأة تغتال الكلام

ولا يغتال قلبها أيّ كلام

عشرون مرّة وبعض الأعوام ...

سجّل !

ما زالت طفلة تتشهى عروسة السكر !

من يدي أمي

ورائحة النارج والليمون والعنبر !

في حضن قلبي

ما زالت أختار شرائط شعري وردية

وأركض على بساط قلبي بحرية

عشرون مرّة وبعض الأعوام

فكيف أبو لك ؟

كما نحتني الأعوام ؟

امراة تسحر تأسر ؟

دعني وأمض

لا تُذكرني بالأعوام



امض " مقدورك أن تفتقر على امرأة "

ملونة تسحر

أنت يا طفلي

طفل تستهويك الألوان

والألوان تأسر "

ستجد دُميتك التي تسحر

وان تجد امرأة قلبها حقل بكر أخضر

لم " يطعمك " إنس ولا جان "

ما زالت تتشهى براءتك

وعروسة السكر !!

# قصيدتان

شعر : منير بن موسى

\* غيمّة \*

رحلتُ

أهملتُهُ للشُّوارع

وللكؤوس ... المقفرة

تركته ينشر حزنه في كلّ الزوايا

تركته طفلاً يتيمًا

إلاّ من كوابيس وأحلام سبّايا ..

تركته ..

شاعرا .. لا كالشعراء

ضامنا ..

يبحث عن غيمّة في الصحراء

\* ريمّا \*

ريمّا

ينام الحمام

على كفه ..

ويغادر

ذاك الجحيم

ريمّا ... ريمّا

قاله يحيى العظام

وهي رميم

## على مصطبة المساء كانت هذه الحكاية

بقلم : وجدان عبد العزيز

سأخبركم لاحقا ... قالها وهو على عجلة من أمره رأوه بلا أيد ، أحدهم رأى كف يده بلا أصابع حاسر الرأس يتحدث مع نفسه . لحق به أحد الجالسين على مصطبة المساء .. ما الذي دهاك ؟ صاح به بصوت أقرب إلى الصمت منه إلى الهمس ، وهذه طريقتهم في التخاطب والحوارات .

كلمة ( سأخبرررر .. كم ) صداها في أذاننا جميعا . لم يلتفت ولم يعبأ بأي صمت يلاحقه ، اختط طريقه والحيطان المتراضة في شوارع ضيق تنكسر فيه أضوية النوافذ ، صاح أحدهم وهو الآخر الذي يترعب قريبا من دلاب المدفأة الحمراء المركونة ليس بعيدا عن باب المقهى صاح صلا ..... ح ثم ترك مكانه مسرعا وينفس خط سير صلاح . ولحق به الآخر الذي يجلس معنا على مصطبة المساء - عامل المقهى هو الآخر تأمل أقداح الشاي ثم دلف إلى الداخل منزعجا - وتحرك الذي بعد أمتار منه ونهض بوهن واضح . مكث الذي يبدو عليه أنه من وجوه هذه الجماعة ، مكث منشغلا بتصريح صلاح غير الطبيعي هذه المرة ، ففي مرات عديدة يقول أشياء كثيرة ومهمة في نفس الوقت وتطول قائمة النقاش في الليالي المنصرمات وتستمر حتى الساعات المتأخرة من هودج كل ليلة منها . صاحب المقهى من حسن الحظ يحب العشرة ولا يجذب النوم مبكرا - إذن كيف أثر التصريح الأخير في نفوس هؤلاء بحيث اقتضى الأمر أن ينفضوا بهذه الصورة الفجة ويتركوا أماكنهم وهم يلوحون بأذهان مقبوضة . سأخبركم لاحقا ... بماذا يخبرنا ؟

هذا الذى أصبح كالأبله المرمي في الطرقات على الأقل صورته في حالته الأخيرة . كل واحد منهم علق في ذهنه هذا التساؤل اللزج سال هدوء المساء وخيم على جوانح المقهى . الشوق الذي اعترى الذي يبدو عليه من وجوه الجماعة كأنطار مع ريح هادئة ضمن ليالي الشتاء الكثيرة - شق صلاح خط سيره ، وظل الآخرون يلاحقون خطواته - صراخ طفل وصياح صبية يلعبون وهمس ينسل من الشبابيك الملونة لعاشقين يلتقيان على موعد أو على هامش الصدف وصوت مذياع وتلفاز و ... لم تغسل هذه الأشياء ما علق في أذهانهم بل أسرع كل واحد على نيته ومن بين موجات الأضوية المنزلة على أوراق الأشجار وحيطان البيوت ، أطلقت بشعر منساب مكتنز بالأنوثة سحرته الآخر الذي لحق بصلاح في الأونة الأخيرة ولم تنثه عن عزمه ، ثم نام الجميع ورأى كل منهم رؤيته : الأول قصها صباحا لأهل بيته ، فحواها جاعني بطاقية ولباس مختلفين ليس تماما ، وقال أن شجرة في الطرف المقابل أخذت تتألم وتبكي ولم يعرف أصحاب الدراية لماذا ؟ . الثاني أن النهر سوف يتغير من لون سمائي إلى لون أحمر وفي النية تغيير مجراه وقص رؤياه في ظهيرة جمعة ماضية . الثالث قال عند المساء سوف يتغير شرق العالم ويحول الغرب مكانه وربما تتغير وجوه الناس إلى غير ما هي عليه الرابع الذى لم يتحرك من مكانه قال لا هذا ولا ذاك وإن ما رأيتموه في نومكم محض هراء لأن الحكاية قديمة تقول أن المدينة سوف تنزل على صرخات دبابات وعجلات مختلفة لتبتعد عن محيط عريض جدا من سائل ليس ماء ولا يشبه الماء البتة . أما صلاح ويعد فترة انقطاع فقد صرّح في جلسة هادئة سأخبركم حينما تستجد أمور تستحق الاهتمام وحتى أتى - قالها بتأن فائض عن الحاجة - لا ضير من أن احتفظ لنفسى بأسرار . سأل صاحب المقهى الرجل الذي يبدو عليه أنه من وجوه الجماعة كيف آل إليه الأمر ؟ انقلع الأخير مضطربا ورد عليه :

إن المسألة تتعلق بمشكلات عديدة كلما توصلنا إلى حل واحدة كان الحل كفيلا بظهور الأخرى مباشرة ، ولأننا في منتصف الطريق حتى أنه شبّه لنا أن الخطأ قريب أو محكمة به موازين العالم ...

## مَسَاءَ هَذَا الْيَوْمِ

### لطفلي الخالصي

إهداء : إلى لحظة حلم جميل مضت ... أعترف  
أنه كان حلمًا ولكنه كان جميلًا ...

مَسَاءَ هَذَا الْيَوْمِ مَرَّ بِي حلم جميل وأنا في عزِّ اليقظة ... منذ الصباح وأنا  
أنتظر شيئًا غير عادي يخرجني من دائرة المعتاد ومن مرَّ مشاعري . كنت أبحث عن  
شيء ما يذهلني ويحملني على الحلم حين رأيته فأعادتي إلى أعوام مضت وإلى  
ماضٍ كم كان سعيداً رغم قساوته  
<http://Archivebeta.Sakina.com>  
هذا المساء أعادني الزمن أول لحظة يخفق فيها قلبي خفقة غريبة تغيرت لها كل  
حياتي وتغير فيها فكري وإحساسي .

كانت صغيرة وكانت رقيقةً وحسناً ... كانت عادية في أعين الناس وطفلة تلهو  
مع الأطفال ولكني كنت أرى فيها امرأة أحلم بها منذ حلمت ...

كانت تلهو مع صغار الحيّ تجهل ما الحياة وتفكر بأحلام الطفل وخياله  
وسذاجته وأود كنت لو كنت طفلاً لحظتها لأشاركها لحظة الفرح ولحظة السذاجة  
والبراءة . حينها كانت تلميذة لم تكتمل فيها أنوثتها وكنت من نونٍ الناس أحس بها  
مكتملة ، وكنت أرى تفاصيلها يانعاً برقةٍ خصرها وإحمرار خديها خجلاً ورعشةً  
جفنيها التي زادها جمالاً ...

بدأت أترقب منها ويوماً بعد يوماً بدأت تدرك ذلك فأصبحت نتحاشاني وتتفر مني



ولكنني أحببتها ... نعم لقد أحببتها ... نعم .

حاولت إقناع نفسي بأن الذي أشعر مشاعر ابن الجار لجارته الصغيرة ولكنني كنت واهما : إنه الحب وكان الحب بداخلي يكبر يوماً ويضيع بداخلي فأضيع خارجه وبدأت أحياناً تضعني مني حتى الدراسة ... ضاع كل شيء سوى حلم اللقاء بها والحديث لها وعنهما ...

كانت الأيام تجري وهذا الحب يتجبر علي وصغيرتي تبعد لحظة بعد أخرى وكانت علي حق فمن ستعيش في هذا الزمان فقرياً ليس له سوى بقايا ريفه وبعض أخلاق طيبة وحميدة ..

للبطالة وقتها طعم مرّ ومرارة شديدة ولكن مرارة الهجر أشد فأخترت مدارتي الأولى وانصرفت إلى الشغل ومضت الأعوام ومعركة الأعوام والأعمار تجري ولم يبق سوى الحلم ... حلم الطفولة والحب ..

هذا المساء حلمت ... ما أحمل أن تعلم في زمن يقتل حتى الأحلام ...

سليانة : صيف 94

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>



# لماذا انتقلت من دار أبي

بقلم: فاطمة سليم

أحببت جداً هذه الصبية . كانت لي سكرتيرة طيبة مطيعة مجتهدة ، أفرح عندما تستقبلني كل صباح في الإدارة بوجه مشرق باسم وهندام أنيق محتشم وكلام مهذب مختار .

كنا نتعاون في العمل وعندما نجد قليلا من الفراغ نتجاذب أطراف الحديث . تعجبني البساطة والصراحة فيها وهي تقول : أنا سكرتيرة : أجب على الهاتف ، أرقن المكاتيب والخطابات ، أستقبل سيديتي المديرية وألبي طلباتها ، أبتسم في وجوه الزوار وأفهم حاجاتهم ، وأعينهم على قضائهم .. أنتظار باثني سعيدة راضية . ولكنني في الحقيقة لست سعيدة مطلقا .. وأسألك : لماذا يا صغيرتي ؟

فتجيب : لأن حلمي كان دائما أكبر ، واجتهادي المدرسي ظننته سيؤهلني لمستقبل أفضل . أحببت أن أصبح محامية .. ألبس الروب الأسود لا من مكتبي إلى المحكمة فقط بل من البيت إلى المحكمة .. أشق به شوارع المدينة ليعرف كل الناس أن المرأة قادرة على الدفاع عن الحق والعدل وتحقيق النصر .

ولكن أمانتي تحطمت بانتهزامي في امتحان البكالوريا والحاح أهلي علي بالعمل لمساعدتهم والإنفاق على حاجياتي ، وتجهيز بيت عريس المستقبل ابن جارتنا الشاب المهذب الذي يعمل في الخارج ويرسل المال لأبيه ، وأبوه يجلب البنائين والنجارين لكي يعدّ طابقا فوق منزله يسكنه ابنه الصالح .

وأجيبها : يا عزيزتي : إن كل ما تعطينا إياه الحياة جميل ومفيد ، فعلينا أحيانا أن ننسجم مع الواقع حتى نحفظ لأنفسنا التوازن ، وفي نفس الوقت يكون من

الرائع جدا أن يسكننا الطموح العاقل وأن نطور حياتنا ونحسنها ونصل إلى أهدافنا ولو استغرق ذلك زمنا طويلا .

وتفرغ الشابة بكلامي وتلمع عيناها المزوقتان بعناية خفية وتسألني :

– أفهم من كلامك يا سيدتي أنه ليس من المستحيل أن أصير في يوم ما محامية وأجيبها :

– طبعا وكيف يكون مستحيلا إذا تسلحت بالاجتهاد والمثابرة والصبر ، وساعات النهار طويلة ، وأيام العطل والراحة عديدة ويمكنك تخصيصها للدرس والإطلاع والمشاركة في الامتحانات . ومن البداية ضعي أمام عينيك أن الفشل مرة في أي امتحان في هذه الحياة لا يعني الفشل في كل المرات .

وصرت مع هذه الصبية أتفاضى عندما أدخل فجأة عليها مكتبها وأجد بين يديها كتابا تفرق فيه رأسها وعينيها وقلبها . وأكتفي يسؤالها عما تقرأ لكي أشعرها أن العمل الخاص يكون خارج أوقات العمل بالإدارة ، وأكلفها بالجديد (ولكني أقول في نفسي : إن اهتمام هذه الشابة بالمطالعة والدرس أفضل عندي ألف مرة من ثروة بقية الموظفين في التلفون : ماذا طبخت لتلك المناسبة ؟ وماذا لبست لتلك السهرة ؟ وما هي أخبار قلوب الناس وشياطينهم هذه الأيام ، وأفضل عندي من مضغ العلك وصبغ الأظافر وتزويق الوجوه وشغل التريكو وتقصيص الجلبان تحت المكاتب .

\* \* \*

ومرت خمس سنوات غاب فيها عني الوجه الحلو لهذه الصبية الطموحة .. لم أعرف شيئا من أخبارها وأحوالها ، ذلك أنني انتقلت إلى إدارة أخرى في بلدة أخرى ، فانشغلت هي بمديرات أخريات وانشغلت أنا مع سكرتيرات أخريات . ومنذ أيام كنت واقفة أمام محطة الحافلة في وقت خروج موظفي الإدارات أين الإزدحام والسعي الحثيث .. فرأيت سيدة جميلة أنيقة صبغت الشمس بشرتها بلون الورد ، وبرز المزيّن شعرها بلون الذهب ونعومة الحرير وطبعت نفسها هي بالوقار

، وحلاها الخالق بأحسن حلية : بطن صغيرة مكورة تقول إنني أنتظر أمومة سعيدة ، وأحسست بالإشفاق على هذه السيدة الجميلة الحامل من زحمة ركوب الحافلة العامة ، ولكنني قلت في نفسي : إن الجمهور مهذب ويعرف الواجب تجاه مثيلاتها . كانت على عيني نظارة شمسية داكنة وعلى عينيها نظارة ماثلة ، فشمس الصيف لم تغادرنا بعد رغم أننا في الأيام الأولى من الخريف ، ولعل نفس الوازع النفسي الذي قربني من الإهتمام بهذه السيدة جعلها أيضا تهتم بي فصارت الواحدة منا تسرق النظر من تحت نظارتها إلى وجه الأخرى وهيأتها وتسرع في التفكير والتذكر ، وفجأة وفي نفس الوقت تقدمنا نحو بعضنا مني خطوة ومنها خطوة فإذا بنا نتعارف . قالت ببساطتها وصراحتها :

– شاب شعر رأسك يا سيدتي ولهذا لم أعرفك فاعذريني قلت وأنا أضحك :

– إنه شيب مزيف اشتريته من عند المزيّنة كما اشتريت أنت لون الذهب .

قالت :

– تلك هي العادة أن تسعى البنت بعد الزواج لتغيير شكلها وألوانها لعل الحياة

تزهز لها وتضحك . <http://Archivebeta.Sakhril.com>

قلت :

– كان صعبا أن أتعرف عليك بسرعة بعد خمس سنوات تغيرت فيها تماما خاصة

وأنا متوقعة أن أراك يوما في الشارع بروب المحاماة الأسود كما وعدت .

وعرفت أنني أشير إلى حكايتها القديمة مع الطموح وأني أريد أن أعرف آخر

أخبارها .

أقترحت :

– سيدتي العزيزة إذا لم تكوني مستعجلة هل تسمحين بأن نتمشى ونركب الحافلة

من المحطة القادمة .

قلت :

– حبا وكرامة ولعلّ الحظّ يسوق إلينا سيارة أجرة نركبها تعوّض علينا الوقت .

وتمشينا وبدأت تحكي قالت :

- عندي سؤال حيرني لم أجد من يجيبني عليه .

قلت : ما هو

قالت : أريد أن أعرف لماذا انتقلت من دار أبي إلى دار الجيران .

قلت : بالزواج يا عزيزتي لا شك أن أشياء كثيرة وجميلة دخلت حياتك خاصة وأنت تستعدين للأمومة للمرة الثانية ، إن هذا جميل ورائع ، قالت : في بيت أبي كنت أتعب في عملي بالبيت ليرتاح اخوتي الذكور ، فأنا البنت الوحيدة ومضطرة لمساعدة أُمي ، الذكور عندهم في البيت لا يخدمون أحدا ولا حتى أنفسهم ابتداء من شربة الماء كيّ الملابس وإعداد سرير النوم وقهوة الصّباح ، وبعد المشاركة في تجهيز شقة ابن الجيران الذي يعمل في الخارج تزوّجته وانتقلت إليها ، وكما تعرفين عني يا سيدتي فبأنّي أحلم كثيرا وأطمح أكثر .. حلمت بالحب والمرح والتطور ... حلمت بالسفر مع ابن الجيران الذي يعيش في الخارج وأنا التي لم تسافر أبدا وصرفت مداخليل السنوات على تأثيث بيت الزوجية في انتظار حياة سعيدة فيها الجديد .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولكن الذي حصل أن ابن الجيران أخذ عطلة طويلة من شغله في الخارج وقد كان يدّخرها من سنوات لمثل هذا الحادث . وفي تلك الأثناء تمّ زواجنا ، وفي نهاية العطلة تركني زوجي حاملا ورجع إلى شغله في انتظار أن يزورنا في عطلة قادمة . وعدت أنا إلى شغلي أسوق أمامي بطننا صغيرة ما لبثت أن كبرت ، وبعدها صرت أُمًا لبنية جميلة عمرها الآن بضعة شهور ، وإنّي مازلت إلى الآن أتساءل ما معنى الزواج وما معنى الحياة المشتركة وما هو واجب كل من الزوجين نحو الآخر ؟ . هذه أسئلة تحيرني ولم أجد لها جوابا بالإضافة إلى سوالي الأول لماذا انتقلت من دار أبي ؟!

لقد قاسيت متاعب الحمل والولادة وحدي وزوجي غائب لم أر من مشاركته إياي في تعبني وفرحي إلا رسائل ممتّعة معطرة تحوي كلاما جميلا لعلّه ينسخه من بعض

الكتب فهو سعيد وفرحان ويحلم أثناء الليل والنهار بأنه سيصير أبا بعد عدة أشهر وينسى أنه لم يدفع ثمن تلك السعادة إلا عطلة صغيرة قضاها معي .

وبعد ولادة ابنتي العزيزة « أمة الله » بنحو الشهرين استطاع زوجي أن يتحصل على رخصة استثنائية ، وجاء ملهوها ليرى ابنته . لقد أُلّني ذلك ولم يفرحني ، لقد كانت أول جملة نطق بها عندما فتحنا له الباب :

– أين إبنتي « أمة الله » هل هي جميلة مثل أمها ؟ . إذن فإنه تزوجني جميلة فقط لأنجب له بنتا جميلة وصبيحة يزهو بها ويفخر .

وهنا رأيت الدموع في عينيها . فتكلمت لأعطيها فرصة لتداري دمعها . قلت : ألم تقترحي عليه أن يتوقف عن الغربة ويستقر في وطنه ويعمل أي عمل مفيد خاصة وقد حقق أكبر مشروع في الحياة وهو بناء مسكن وتأتيه .

قالت : لقد فعلت ذلك منذ البداية ، ولكنه أجابني جوابا عجيبا إذ قال : مثلي لا يحتاج للإستقرار في وطنه إلى منزل مؤث فقط .. إن الطريق ما زال أمامي طويلا ، بعد المنزل علي أن أجمع ثمن سيارة فاخرة تليق بمقام من قضى عدد السنوات التي قضيتها في الخارج ، وبعد السيارة علي أن أجمع رهيدا ضخما من المال لأفتح به مشروعا اقتصاديا هاما .

قلت : تفكيره ليس باطلا يا ابنتي ، ولقد صح فيه نعتك له يوما بالإبن الصالح ، يبقى أن تقترحي عليه اقتراحا آخر وهو أن تسترخصني من شغلك وتصحبني إلى الخارج حتى تتمتعنا بحياتكما المشتركة . قالت : لقد اقترحت عليه أيضا هذا الاقتراح رغم ما فيه من مجازفة بالنسبة إلي فليس سهلا على المرأة في وقتنا الصعب أن تتخلي عن شغلها من أجل رجل .

ولكنه أجابني جوابا عجيبا آخر إذ قال :

– في الخارج يا عزيزتي لا أستطيع أن أجد لك شغلا ، تعوزك لغة أهل البلاد وخبرتهم وأنا أرفض أن تكون لي زوجة لا تكسب .

صرخت : ولكنك تكسب ما يكفينا . تكلم ( بدون مبالاة وهو يلعب طفلته ) : هذا

صحيح وما أكسبه أدخر منه للمشاريع الكبيرة التي تعرفينها . ومن رأيي أن استقلال المرأة المادي شيء مهم جدا .

ـ ولكن هذه أنانية ، دخل الزوجة من تعبها وعرقها وشبابها يذهب هباء في النفقات اليومية للبيت والأولاد ، ودخل الزوج يُدخر للمكاسب والمشاريع التي تبقى له وباسمه .

ضحك وقال : ولكن الأولاد أولادنا معا ومستقبلنا مشترك فمم تخافين ؟ ( وأخفيت في سرّي العجب والقول : من ضمن أن الحياة ستمضي مشتركة هادئة على النحو الذي يرضيك أنت فقط أيها الرجل أيها الزوج المحترم )

تدخلت : ألم تسأليه ؟ كيف يستطيع رجل متزوج أن يعيش بدون زوجته قريبة منه .

قالت : نعم سألته ، قلت له : إن لم تكن بحاجة أكيدة إلى قربي فانا بحاجة ملحة إلى قربك ، ولكنه أجابني بأكثر من العجب .

ـ تصرفني من هذه الناحية كما كنت قبل الزواج وأصبري فما هي إلا سنوات ـ وأنت

<http://Archivebeta.Sakhr.com>

وبدون خجل قال : بالنسبة للرجل الذي يعيش في بلاد الآلات الرهيبة والضباب الكثيف وحرية الإنسان تلك الأمور لا تمثل مشكلة على الإطلاق يمكن أن تسوى بأي شكل من الأشكال ..

وصرخت من جديد :

ـ كل شيء لك ولا شيء لي حتى أبسط الحقوق في حياة امرأة متزوجة .

وتوقف الحوار هنا . وسافر الزوج من جديد .

واكتشفت بعد أسابيع أنني حامل للمرة الثانية كما ترين يا سيدتي ، وسوف أقضي شهور الحمل وحيدة متعبة مضناة كالمرأة الأولى ، وسيزورني حتما عندما يغشاه الفرح وتطير به البهجة لأنه أصبح أبا للمرة الثانية . وكتبت له وهدت أشكو أحوالي وأهدد ، وسكت عن الجواب ، فقد تعلم البرود وإرجاء النظر في الأمور من

طبيعة أهل البلاد التي تعيش فيها .

وفاتحت أبويه في الأمر : يا سادتي أنا حامل فهلل أبوه : يا فرحتنا سيملا إبننا علينا البيت أطفالا .. إن أمانينا تتحقق .

وصرخت أعماقي : ( أمانيهن تتحقق !!! إبنهم البعيد الغائب يملأ عليهم البيت أطفالا كأن الأطفال دمي بئمن بخس وتوزع في البيت لتملاه فرحا وحركة هكذا بكل سهولة ، أما من تحمل وتلد وتربي وتتعب وتصرف وتسهر فلا أحد يسأل عنها أو يذكرها حتى عرضا ويقول : شكرا لها إنها مسكينة مناضلة .

وسألت : هل يبعث لك المصاريف على الأقل ؟

- في شكل قراطيس تحوي هدايا موصى عليها في قائمات توضع في جيبه قبل السفر من طرف جميع أفراد العائلة الأقارب والأبعاد بنحو لا يفيدني بشيء كشابة ولود بحاجة إلى عناية جسمية وعاطفية ولا يفيد إبنتي الرضعية ( أمة الله ) في تغذية بدنها وعقلها وصحتها ، بالله عليك يا سيدتي ألا يحتاج الرضيع لأنس وعناية أبويه حتى وعمره بضعة شهور .

قلت : إنه يحتاج إلى ذلك حتى وهو لا يزال في بطن أمه <http://www.archive.org>

أضافت : إنني لا أجد الوقت ولا المزاج لأرفه عن نفسي بسيما أو مسرح أو نزهة أو زيارة ، ولا أجد كذا للملاعبة إبنتي والترفيه عنها بل العكس ، المسكينة على صغر سنها تتحمل مني الصراخ والصخب وشيئا من الإهمال .

- ولم ذلك .. هذا حرام .. ليس للصغيرة ذنب يا طالما دفع الصغار ثمن ذنوب يرتكبها الكبار والسيدة، حماك هل تقدم لك بعض الخدمات أو إنها مستقلة بالطابق الأرضي تنصرف كجارة محترمة .

- يا ليت الأمر كذلك .. لقد نسيت أن أخبرك أن الطمع في التوفير وتنمية المكاسب أوصلهم إلى حد إيجار بيتهم الأرضي ومشاركتي السكن في الطابق الأول بدعوى إيناسي في غياب زوجي وهم ثلاثة :

أولا : حموي وأهم أعماله في البيت استقبال زملانه من الشيوخ المحالين على



المعاش للعب الورق والثروة بأصوات صاخبة أو للإستماع إلى أسطوانات الأناشيد الدينية بصوت عال كأنّ لا أحد سواهم في البيت . وطبعاً هات يا شاي ويا قهوة ويا مأكولات ويا مشروبات .

ثانياً : أخو زوجي وهو شاب لا أدري ماذا يفعل أراه كل يوم يتجمل ويتعطر كأنه ذاهب إلى مسابقة للفوز بلقب أجمل رجل وهو لا يحب أن يسأله أحد أين يذهب وماذا يفعل وهل يعمل أم يدرس أو أين يقضي أوقاته ؟! مغرم في البيت بالاستماع إلى أشرطة الغناء الأجنبي والإستماع إلى الإذاعة والتلفزيون على البرامج الأجنبية .. يفتح الجهاز على آخره وينسجم مع موسيقاه تردداً ورقصاً في أي ساعة من ساعات النهار أو الليل دون أي اعتبار لراحة بقية سكان المنزل ، فأحياناً تسمع الموسيقى الأجنبية صاخبة صادرة من غرفته مع شيء من تصفيق وتديك رفاقه . والأناشيد الدينية عالية صادرة من غرفة أبيه ، ولا أحد يجرؤ على توجيه ملاحظة للآخر محافظة على مستوى العلاقات في هذا البيت السعيد ، ومن فضل الله أن الشقة كبيرة ولها شرفات عديدة وموصولة بسطح يشرف على المدينة من ناحية وعلى البحر من ناحية أخرى ويمكنني من رؤية السماء والشكوى إلى الله ومناجاة القمر ونفث أشجان قلبي إلى البحر ليسكنها في أعماقه .

أما الثالثة فحماتي الطيبة المسكينة التي تحبني كثيراً ومن شدة الحب تنسى أنني موظفة متعبة فتترك لعهدي أكثر شؤون البيت بدعوى أنها تدرّبني على تحمل مسؤوليات العائلة الكبيرة فهي تنتظر مني أن ألد لها على الأقل سبعة أطفال لأنها حرمت هي من هذا العدد الهائل ولم تنجب إلا ولدين إثنين تعتبر أن زوجي هو المعول عليه في كل شيء أكثر من غيره حتى في ملء البيت أطفالاً يحملون اسم العائلة ويتسلمون المشعل .

ومنذ مدة سقطت حماتي صريعة المرض ولزمت الفراش تصوري يا سيدتي ذلك تصوري أنني أسهر إلى ساعة متأخرة من الليل لأعد طعام الغد لكامل أفراد العائلة وأحفظه في الثلاجة ، تصوري وأنا أشرف على حاجيات السيد حمي والسيد

أخي زوجي ، أستقبل الزوار وأقوم بدور الممرضة لحماتي المسكينة التي تبرح بها  
آلام المفاصل فتصرخ في الليل وفي النهار أه ثم أه . لقد سلمت إبنتي الصغيرة بعد  
مرض حماتي إلى عناية أمي وتمزقت أنا بين البيتين قلبي تقطعه سكاكين الظلم  
والأسى والحظ العاثر ، ويتقاطر دمه بينما تظن حماتي أنني أتسلى وأفرح بكلماتها  
المجاملة وأنا أقوم على خدمتها إذ تقول لي :

– لقد عرفت من أختار زوجة لإبني العزيز ، فأنت يا فتاتي كاملة ويحسدني الناس  
عليك جميلة تنجبين لنا أجمل الأولاد .... وتحسنين تربيتهم لأنك مثقفة ، تصرفين  
على نفسك وعلى أولادك ولا تكلفين إبني مشقة التفكير في هذا الموضوع وهو غائب  
فيعمل هناك هانثا مطمئنا . أخلاقك حسنة .. تبادلين أهل زوجك المحبة والتعاطف ،  
إعتبرتك إبنتي واعتبرتني أمك .. أنا لم أنجب بنتا ويا طالما تحدثت مع إبني "علي"  
وحشنته على الزواج لكي أكسب إمرأته بنتا لي ترعاني وتخدمني وقت العجز والمرض  
، وما إن أحلامي تتحقق ، وما رتبته العائلة وفكرت فيه حين أختارناك كان صوابا لا  
خطأ .

نعم .. هكذا تتكلم حماتي دون أن تحس بهول ما تقول ولا ببشاعة ما وافق عليه  
إبنها ورتبه معها قبل أن أعرفه وأصبح أمًا لأولاده ... يا للهول يا للغرابة ! فكروا  
في مصالح الجميع وسعادة الجميع حينما اختاروني إلا مصلحتي وسعادتي .. إذن  
لم يتزوجني لنفسه هذا الرجل .. بل لأبويه .. يجدون مني الأناش والخدمة وإنجاب  
للأطفال .. لتسليتهم .. وإعطائهم فرحة امتداد الذات وتعمير البيت ، ومع ذلك  
أصرف على نفسي وعلى أولادي وأعيش الوحدة الروحية والجسدية وأضيق أحلى  
سنوات عمري في الجفاف العاطفي وأهدر وقتي في خدمة أناس غرباء عني .. هل  
انتقلت من خدمة إخوتي الذكور في بيت أبي إلى خدمة الغرباء في بيت زوجي ..  
هل لهذا خلقت .. وهل لهذا تتزوج النساء ؟

ويوما بعد يوم يضيع مني طموحي في أن أصبح محامية وأكبر قيد هيأؤه لي هو  
هذا الإنجاب السريع المتوالي للأطفال .. أحب أن أصرخ : تسقط الأمومة .. يسقط

الزواج .. ويسقط الرجال إذا كانوا بهذا الشكل ، وخفت على محدثتي الإنفعال الشديد وهي حامل ومتعبة وجائعة .. لقد خرجت تواقاً من الإدارة بعد عمل نصف يوم .. واستعظمت حقيقة ظلم بعض الرجال للنساء وقساوة الظروف التي تعيش فيها هذه البريئة الجميلة الطيبة الشابة الطموحة إلى العلم والحب .. والمستقبل الأفضل وأسعفتنا الظروف بمرور سيارة أجرة خالية فأشترت إليها بالتوقف .. لقد كان طريقنا واحداً فركبنا .

وطلبت من رفيقتي أن تسكت فلا يصح طرح الهموم أمام سائق التاكسي ( لعله كان منتشياً بقصة أخرى مغايرة سمعها قبل ركوبنا )  
وقلت لها : لقد أنصت إليك كثيراً فأنصتي إلي كثيراً فأنصتي إلي قليلاً .  
وصرت أهمس لها مختصرة نصائحى فالطريق قد قصرت مع التاكسي - إسمعي يا بنيتي :

أولاً : إن كثر عليك التفكير بأنك مظلومة وأن الناس يسيئون إليك فلا تحزني بل إفرحي لأنك لا تظلمي أحداً ولم تسيئي إلى أحد بل أنت تمنحين السعادة والفرح والعون لمن يحتاجون إليه <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وثانياً : في انتظار أن تحلّي مشاكلك واحدة واحدة بكل صبر وتعقل وبعد نظر حافظي على كنوزك ولا تفرطي فيها حتى لا تندمي .. صحتك وعقلك وأخلاقك وأولادك وطموحك ( وفتحت فاهها وعينيها لتقول شيئاً ، ولكني لم أسمع لها بمقاطعتي وواصلت ) :

ثالثاً : تذكرني أن كل شيء قابل للتغيير والتطور من سيء إلى حسن ومن حسن إلى أحسن حتى أفكار زوجك وأسلوب حياته .

وفي انتظار ذلك عودي إلى ما أعرفه عنك من حب للعلم وعشق لفن الدفاع فلقد صرت مجربةً ولا بد أن يلح عليك أكثر حب الانتصار إلى الحق .

وهنا صاحت : ( نسيت يا سيدتي أن أخبرك خبراً عظيماً يفرحك : لقد حصلت بعد تكرار السنوات على شهادة البكالوريا ) .

وصحت أكثر منها : عظيم عظيم جدا .. هذا أجمل خير سمعته منذ أيام ... مبروك عليك الروب الأسود يا حضرة الدفاع .

وضحكت وكأنتها تبكي :

– ولكني لا أعرف متى سأبدأ ؟ ومتى سأصل .. لقد عاقني الزواج والإنجاب وهمومي النفسية عن الانخراط في الجامعة

– لا يهم .. فالوقت طويل يا عزيزتي .. وهو كاف للوصول .. المهم هو أن تحافظي الآن على أجمل كنوزك .. طموحك وصحتك .

ومازلت أقبلها وأهنتها منتشية بالخبر السعيد ، حتى التفت إلينا سائق التاكسي مذهولا كأنه خائف من لومة جنون أصابت إحدى هاتين المرأتين أو أصابتهما معا :

– لقد وصلنا والسيارة واقفة منذ لحظات وغيركما من الركاب في الإنتظار ونزلنا

واتخذت كل منا وجهتها ولست أدري ما كان يدور بعد ذلك في خلد صاحبتني .. ولكن الذي كان يدور في ذاتي ويقيني هو أن ألقاها بعد سنوات بهيئة أخرى مختلفة تماما .. تماما .

\* \* \*

وفعلا لقيتها بعد سنوات وهي تلبس روب المحاماة الأسود من دارها إلى دار العدل ، ولكنها بلا رجل فقد غيبث الثلوج رجلها وانقطعت عنها أخباره فتقل حملها أكثر فأكثر .

ومع ذلك ... تحقق حلمها %

## التمثال

بقلم : محمد الجلامي

حدثنا أبو الفاكهة النديم وهو رجل خسيس أو كس سملت عينه ، عسير فتاك ،  
أحذب أعرج ، سافل نذل يكرع في الخمرة جزافا بغير تقدير ، عرييد عنيد يلج  
لججاً ، زمير وصفحة عنقه تلبسها شامة بشكل الدن يسكب الخمر منه قال :  
- أخذتني تباريح الشوق والولـه بالكأس إلى حانة كبارجة جمع فيها الشر  
فأقمت فعلة بارحة حين تراكم الظلام أول البارحة وباريت الشراب مصالحاً إيـاه  
على الفراق حتى برح بي وبارحتني مداركي وقد كان كروح التين ريحه .  
وخرجت أتبه بعد التمل نون شاور ، تؤنسي سلاسل البرق وتهدهني غزوة الرعد ،  
ألتقط باللسان الأمطار ، أترنح ، يدحرجني النسمان ، خاسف البصر ، أرى  
الهرجوادا والعمار جراداً .

وفي ما أنا أركب سهوة الشارع القفر ، أترنم منشدا للوطن وللناس ، لمُحني  
جسد منتصب يعتلي صخرا مرتباً مرصوصا ، حوله إعرش وشب المكان وخلته  
لجارية خُرد لم أتبين مثيلا لها ، تجليني إليها ، أسير لا أرى غيرها ، هامة طليقة  
... وتشروقي عيناى بالدمع أرغو كالجمال متلهفاً أشوق إليها أقول :

- قد يلسعك النحل يا الهيمى في الرعود ، يا التائهة

\* قالت أو هكذا خيل أو تخالني أخال :

- طلبوا الفدية وأحلامي كانت متواضعة .

\* قلت حديث الروح للجسد :

– هلاً أفيدها في مخارقتها دفناً ينزع الزمهرير عنها والغُم أم أتعمدَّ اليمين  
الغُموس لأتولاها فحفخةً أم تراني أسويها فحلةً لا يليق صنعها بالنساء .  
\* قلت مجاهراً :

– يا الفاخثة ، أترين النهد منك يقطع فيعلقُ بالجدار ثمَّ يقطر لبناً يغذي الجسد  
كله ؟ ثم أترين باقي الجسد تلهو به الأيام ؟ يا الفرغرة ، قد يلسعك النحل  
فسرحي في مقدّم الرأس خصلة شعرك واخلمي الغمامة .



\* قال أبو الفاخثة النديم :  
– ولازلت أقول يا الفاخثة ، يا الفرغرة لما تنزلُ البرد من السماء يقرع رأسي  
قرعاً وثابتٌ إليّ مداركي وإذا الجسد المنتصب صنمة تعطي صخرا أملس مرتباً  
مرصوصاً ، تنوِّسط المدينة ، وإذا الصنمة من الشمع المطلي بماء التبر صامتة ...  
ساكنة ...

# الحلم الهارب

بقلم : كمال الحمزاوي

\* الإهداء : إلى الأستاذة فوزية علوي - القصيرين

تساقط الأيام ورقة ... ورقة ، صفراء بلون الخريف وتنزل الأزمنة على صفحات العمر لتدوسها بشراسة ووحشية مرعبة ... يختنق حلقها فتغص بريقها وبالهواء الذي تتنفس ... فتحس باليوم يشتعل اشتعالا فينصهر انصهار الحريق ... شيء من الضيق يتصلّب داخل صدرها فتزفر زفيرا ترتعد له الأضلع وترتّب له المفاصل ... ترى العروس بجلبابها الأبيض تجلس وسط الحفل المتقد بعد أن أقتيد الجمل إلى القطيع ... شعر يسهكه الليل ... أعين شبه ناشئة إنها الأفق الممتد عند الصباح ... ابتسامة تتفتح لها بشقاء بلون الزهر هذه هي عروس الليلة ... النسوة خرجن بلون الربيع وفي قلوبهن فرحة بابنة العائلة التي تزف فتحتفل بفرحة العمر .. فتدخل مملكة الاتزان ، خرجت تتوسطن " فرحة " وعلى وجهها كآبة غيّرت من البهجة محاسنها وسرقت خيبة الدنيا لتسوّك بها شفيتها العذريتين ... خرجت بردائها الأسود الذي ارتدته قبل أيام وهي تحبّ خبب الناقة في كتيب من الرمل .. متساقطة إلى الأمام مخترنة الأحزان في قفص الصدر المعتل .. تنظر إلى العروس في بياضها القطبي الناصع وإلى احمرار وجنتيها وكان نارا قد انتقدت فيهما أو أنها الفرحة قد اجتمعت فعلا لتحل منها لوحة من ألواح الطبيعة الساحرة أو رسما ملك الجمال الأعلى أو أن ماء الحياة قد انحبس فيوشك على التدفق أو شيء من هذا وآخر من ذاك ... تظل " فرحة " الدقائق الطوال مسمرة النظر بأعين تسجل الاعجاب ... تغيب زمنا عن الحفل والعالم ... تشرد بها الأفكار وتدور ... وهي هناك ..

تركب خيالها وتتداعى إلى ماضٍ قريبٍ بعيد ... تحلم لو كانت في مكان كهذا  
وعروسا كنتك ... وأن تتكا على كتفي خليلها وتنام إلى ما لا نهاية ... أما الجمال فلها  
فيه ضرب وباع كبيرين لولا سقوطها في الرغبة فكان أن اقتطعت قبل أن تنضج من  
 وراء العرش وصممت ... كبرت فيها أنوثتها فمالت إلى أن هوت ... إلى أن ... إلى أن  
... تقطع الأهازيج عنها حلمها المدمى فتشل شلال التفكير والرجوع إلى صناديق  
الأحداث الماضية وأدراج الزمن الضائع ... اندفعت كعنز شرود ودخلت إلى غرفة  
بحوش العرس الذي ترنَّع وسط القرية الجبلية ... تمسح بعض العبرات المحرقة  
التي نزلت على خدها لتتظاهر باللائعاع ... بالأشياء ... جلست هناك في ركن  
يتجمع فيه سكون وسواد بهيم ... تتضاعف الأحزان وتتبدل بقلبها حنين إلى البكاء ...  
إلى نواح صامت يقتل نبض الحياة في العروق ... إلى رثاء السنوات الثلاثين  
الماضية ... إلى قطار العمر الذي أكلت صفائحه ولم يعد قادرا على تحمل  
مشاق الطريق الملتوية في جبل وعر يصعد إلى السماء ... تتراكم الهموم فتشبهق  
شهيقا مزعجا فتعس باثنا خردة لا تباع ولا تشتري وإن ابتيعت فبئس بئس ... أو  
أنها كالجمال الذي تعب من حمل العروس دون تفاعل مع الحدث فينتهي وجوده  
بانتها الأمر الموجود من أجله .. ما عاد يهمها العرس اليوم وما عاد يعنيه البقاء ،  
تعود للحديث مع نفسها ... تثرثر مع باطنها المتهرا ... تحاول طرد صورة عشيقها  
من زوايا جسمها وطيات لفائف شعرها الهائج على كتفيها ... تخرج منه لتجده  
مثالا أمامها ... تدير رأسها علامة الإمتعاض فيبرز من عدم ... تسلت من بين  
العرش لتحمي وجودها للالتحاق ببيتها المتداعي ... المنفرد ... مع والدتها العجوز ..  
الضريرة ... لتتعلق فيه بعض السويغات لوحدها ... لتخرج من حزن قاتل ألم بها  
... تجري مغلقة أذنيها بأصبعيها حتى تطرد نغمة " المزود " المتلاشي وسط  
السكون الليلي وعيناها صوب الحجرة وراء الوادي وقلبا يرنو إلى الهروب من  
الألم ولا مفر منه ...

— أمي ليك تفتحين عينك وترينني ... لا ... أبقى هكذا ... فماذا ستشاهدين ؟



أي حال سيعجبك وأي صورة ستجدينني عليها لو أهداك الله البصر ؟ .. أما كان عليك والدتي لو أجلت خلوتك بوالدي ليلة وإلا لكتبت ربما انसानة ؟ .. يا عيبي على نفسي ويا للخزي الذي أحمله ... إنها تحاول نسيان الصبايا وهن يرقصن على نخب طهر وعفة عروسهن ... تدفع الباب وترتمي في الداخل على صدرها وقد توسدت أرضاً امتصت الندى وتهرأت من ضرب الأقدام ... راحت تلطم نفسها فتجمع مفردات النحس والتأسي على عمر ضاع : " فرحة " قريباً تقوَس الأيام ظهرك ولا بعل ... " فرحة " ستغرب شمس جمالك ولا زوج ... " فرحة " سيجعل منك اللسان أقصوصة ولا ... ولا ...

يكثر بكأؤها فترفع نفسها بثقل كبير لتأخذ مكانها والدوار يلعب برأسها ... يدور بها سراپ وكان الهاوية تمتصها ... تتركز على دفة خزانة منبرنة فتشد من حثالة عزمها المتبقية ... تصطدم عيناها بالواقع ... بصورتها في ما تبقى من بلور عالق بها ... ترمي بالسؤال عقب السؤال ... وبالحيرة وراء الحيرة ... تلمس بخديها تتفقد شيئاً ... عل ماء الصغر ما زال مختبئاً فيه ... تقيس شعرها فيتدلى حتى الخصر حمائل - حمائل - تخملق في اتساع عينيها وفي بريقهما المغفور بحبيبات الدمع فتشبه شقيقاً مرعباً ... تمد يدها إلي مواد تجميل مبعثرة ... كحل ... سواك قارورة عطر تحتفظ بها والدتها من ذكريات زوجها المرحوم ... أنها تحاول البروز أحسن من عروس الليلة .

- نعم إنني أجمل وسأكون ملكة تتربع على عرش الجمال ... ستقدم لي زوايا البيت لتزفني للظلمة ... وسيعرف لي الصمت سمفونية الحياة ... سأعرف لمن أهب جمالي هذا ... وهذا ... وهذا ... وهي تشير إلى مواضع من جسدها ... يتعالى صراخها ويأخذها صرع وسقطت كتلة واحدة ولا حركة ... استفاقت الأم العجوز وراحت تتحسس مكان ابنتها إلى أن وجدتها كصرح هامد ... واستمر الزمن ليقف في محطات أخرى لعلها تكون أسعد من هذه أو أسوأ ...

## ملصقات على مرآة

بقلم : بلهوان الحمدي

قال عاقل : ما دام البحر الرُّحْب حرباً والضوء نادراً والخبز ضغينة والعتمة قدراً لن يطمئن بال لي ولن تهدأ عواصفي الهوجاء ... رجل ينفق ثلثي عمره وكلّ ماله وثروته من أجل زيجة مروّعة ، وآخر لا تفارقه زنامة يخبئها في جيب جَمَازته الرّمادية ، يحسب نفسه حاكماً في الوقت وسيد الأزمنة العاجلة والأجلة .

هل صادفك الأنيق يربط عنقه فيخيل لك أنّه يحتنق ويلفظ أنفاسه . يموت موتة احتفالية مضحكة .  
<http://Archivebeta.Sakhr.com>

« أنا أبو عقل ، أمتلك الحكمة والرشد وسرّ الأشياء وماهية النّواميس »  
 وصمت الرّجل الضّخم ذو الرأس الكبير والعينين الفسيحتين ، يتلمس شاربييه المقصوصين بأسلوب فنّي ظريف فكنت ترى فيهما طابعا بريدياً مريع الشكل زواياه قائمة قيام ساعة الزّوج المستباح والحاكم في الوقت وشهيد ربططة العنق الحمراء .

وأبو عقل سقراط البلدة يقول إن البلدة من البلادة كما قال العمّ صالح أبوه الرّوحي والفكري وتمنّى لو كان من نسله .

ركب الحافلة الحمراء باتجاه اللّج والشّارع الكبير والدكاكين تبيع كلّ شيء ، الواجهات اللّماعة والمعروضات تستجديك وتلجّ على لعباك كي يسيل فتلجّ إحداها ولا تجد ما يغرّيك هنا كلّ شيء يباع حتى الابتسامات الصّماء .

- ثلاثون - قالت صاحبة الدكان - فتحت فأها كاشفة عن مستودع للفضة  
والمعادن الأخرى ، وأجهدت نفسها كي تبتسم فلم تغلق .  
- ثلاثون ؟ بأيّ دولار تتعامل يا جرد ؟ كم ثمن الحذاء أسالك . ثلاثون بيضة .  
ثلاثون بطة . ثلاثون بعرة ...

- إخرس يا ضرير . أنا أنثى . بائعة أحذية وريّة هذا الدكان  
كان ينظر للبضاعة المعروضة بأناقة مخجلة له مديرا ظهره للسيدة . واستدار  
أخيرا : عفوا حسبتك فحلا بشعرك المخلوق ووجهك الأشعر وضمور خصرك وغياب  
نهديك .

ثم إن مقاييسي الجمالية لا تصنّفك مصاف بلقيس أو ولّادة . أنت جرادة مقنعة  
والإهة أحذية بانرة . وانصرف تاركا إياها فاعرة تنتظر ولا تنتظر .

عرج أبو عقل نحو اليسار ومشى بضع خطوات في نهج ضيق رطب هز رأسه  
فشاهد واجهة رسمت عليها لوحة جميلة : كبش أقرن وعجل هولندي مرقط يضحك  
فتح عينيه محدقا : سبحان ريّة الأحذية ! لم أر ديكاً يغني وليمة ذبحه كهذا العجل  
المكتنز لحما وشحما وماء وعشباً

يتزاحم الحرفاء ويتدافعون ، لا مكان سوى لقوي العضلات ومفتول السواعد أو  
لوقيح فضّ ، وفجأة خفت الجلبة وأشرأبت الأبصار صوب الرجل القادم من طواحين  
الهواء : أيها الناس . أراكم الكلي جثث . تاكلون لحم الأحباب وتشربون رحيق المحبة .  
إني أدين الكاتب والحبر . قاطعوه حتى يستبدل مجزرة الأحباب بملحمة الأحباب .  
قهقه الجميع بفهم أو بدونه ، لكن القصاب انتفض انتفاضة هوجاء لأعنا وكست وجهه  
وعينيه حمرة قانية . اتجه إلى عاقل يدفعه بعنف وقسوة . يتحامل الرجل ليتماسك  
قليلًا ويمشي كاضما غيظه مستاء بعض الاستياء كأن شيئا لم يكن : لا عليّ هو  
جزّار همجي لا يميّز بين السورة والصورة وبين الخيمة والخيبة . إنّه مسكين لا  
يفرق بين المجزرة والملمحة لا شك في ذلك ... ربّما عدت إليه هذا المساء !

كان المطر ينزل رذاذا كأحلام المنفي يروم عودة قريبة والأشجار الخضراء

مستديرة عالية وابن خلدون في قفص ذهبي يستحم بماء المطر الدافئ ...  
ظل يقطع المسافة الفاصلة بين الساعة الخضراء وقبة القديس يلتحف برنسا بُنيًا  
حتى هذه الإعياء فأحس بحرارة الجسد لهيبًا وقد كان مقرورًا منذ حين ..  
» سيرتوي الحقل وأشجار اللوز تزهّر ، سيمرح الحُلزون ويكون للذئب عرس بهيج  
« مرّت به لحظات هذيان وحمى الكلام كعادته : « الْمَطَرُ تُصْبُ وَعِشَانًا بِالرُّبِّ » .  
إنحسب السَّيْلُ في الفضاء الأزرق . يمسح جبهته العريضة وهو يلث ككلب  
ساعة الهجيرة الكافرة . ويلتفت شمالًا ويمينا ليرى بانع الورد مكشـُـرا يستنظر  
حريقًا قد لا يأتي لأزهاره الرَّاكدة هذا الشتاء حيث تضرب الخيول عن الصهيل .  
— مالك يا « نوّار » حزينًا كالعشاق أو الشعراء ؟  
— حزين عليك يا ابن الأتان الجرياء .

— لا تتعب حوافرك . لن أعيدها ثالثة . فالأولى طلقناها لأنها سدّت عليّ منافذ الهواء  
أما الثانية فقد فارقتني لأنني ملعون عارٍ من الحياة الأدمي . ومضى يوزّع الخطى  
للمعبد والرّصيف تاركًا بانع النّوَّار يهيمهم : كَثُرَ الهم يَصْحُكُ  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

إلى أين يا عاقلا والشمس غربت منذ الصُّبَّاح الأوّل ؟ سأمارس طقوسي . قال ،  
كم يحلو لي الرُّكُونُ في حانة لا هيّ مزدحمة ولا هيّ خاوية . أختطف زاوية وأجلس  
والزّجاج يغشوه بخار القدماء الأشقياء السعداء ...  
الأرض تتنفّس بعد انكفاء الغيث والأخضر يزداد خضرة . أما هو فيبدأ في  
الإنطفاء . هكذا يفتضّ نهاره فاتحا وينهشه المساء ويهشمه الليل رمادا كثرنب  
مذعور لا ينام ملئًا جفونه ولا يهنا .

هبط الليل ثقيلًا متخفيا مخنفا ريحا موحشة تزغرد في الأوراق وبين الأفنان ،  
تزرع الملح فيما تبقي من الفراخ الكسلى لم تترك أوكارها . صارت الريح إعصارا  
تهتك أستار الصفصاف وأشجار الجوز والتوت والبشر السحيقة .

حملق في المرأة المكسورة فوق خزانته المتناكلة وتأمل وجهه ذا الوجه الواحد  
المتعدد وقال : ما أبشعني ! أية حسناء تأتي بها ريحي. سأهديها حذاء من شمع  
يدمي ساقها المحفورتين وجمجمة تؤرّ تنظفها وباقة شيوخ وزجاجة بنزين  
ويكون الحريق .  
للم شتاته وركام جدار العلامات المنهار وعاد للمرأة .  
لم يخش ملامحه القبيحة الرهيبة وهمس باتجاه الشمس والجبل الشاهق : كل ما  
أخشاه أن يحولني اليقين أحرق . /

ان نظم الكلم لا يقتصر امره على توالي الالفاظ في النطق بل ان الالفاظ  
ليتبع بعضها بعضا على نحو يعبر عن الفكرة ومحتواها وكيانها. انه يقال عن  
الالفاظ انها اوعية للمعاني. فاذا كان امرها كذلك. وجب لا محالة ان تتبع  
المعاني في مراتبها . فاذا وجب معنى ان يكون اولاً في التنفس وجب للفظ الدال  
عليه ان يكون مثله اولاً في النطق

عبد القاهر الجرجاني

# التقرير

بقلم : زمردة دلهوي

\* الإهداء : إلى كل من علمني حرف " الألف " - ١ -

- قف أنت أين لوحك وكتاب القراءة وأنت ألم أقل لك سابقاً أن تقص أظافرك وتكتب ألف مرة الطقس جميلاً ؟

- لكنه لم يكن جميلاً يوماً يا سيدتي !

- قلت كفى ، الطقس جميل والوطن عزيز والعلم نور والأم طهر والأب كتاب والقلب علم والمدرسة جنة ... هذا ما يجب أن تستوعبه

- سيدتي الجنة ليس فيها برك ماء ولا نقيق ضفادع تقفز مغرعة ، الجنة ليس فيها أبواب منكسرة ولا جدران مشققة ، ليس فيها شياطين تصارع طواحين الريح وتستقبل المطر من كل ثقب ، الجنة ليس فيها عجاج يهدد العيون وتراب يستوطن الصدور ولا روائح مواسير انفلقت ، الجنة رائعة يا سيدتي !

- قلت كفى نحن من سنصنع الفردوس بأيدينا سترفع الوحل ونصلح الجدران ونصبغ الشبايبك ونزرع الورد والأشجار ونخلق الربيع ونشكل الطيور ونخلق كالغمام الساطع ونأثف كالنجم الضائع ... كفى أجلس مكانك واصمت .

استدارت إلى اللوح الأشهب وكتبت :

" أحب البلاد كما لا يحب البلاد أحد ... "

فجأة توقفت عن الكتابة أحست بوخز في قدمها اليمنى هذا الحذاء فتك بها وذبح قدمها التي وعدتها أكثر من مرة بأن تعتقها من هذا العذاب .

- افتحوا الكتاب بالصفحة الثالثة والعشرون قراءة صامتة للنص .

جلست فوق الكرسي، إن ملاحظة التلميذ أثارت شكاً متمرداً، ثورة أشعلها هذا الصبي يا كم تغربت عن أمها ويا كم تأكل صباها وتهدم طموحها، زواج لا يزال وقف التنفيذ، هذا مهتر، معطفاً أشهباً عشقه الغبار وغذاً منقوصاً سعالاً يلازمها عينا متورمة جيوباً خاوية بطناً شاكياً وحلماً بالاستقرار يراودها ويحتل مراسيها وحياً للوطن أكبر من أن تحتويه مساحة اللوح المقزّمة وفضاء السبورة الضائع . هذا القسم يحرك فيها شفقة قاسية وينمي لديها شعوراً بالصبر يترصدها .

– يا أنسة عليك أن تجتهدى لجمع التبرعات من التلاميذ لأجل إصلاح القسم

– حسناً يا سيدي المدير

– الحصة المقبلة لا أرى وجوهكم إلا بما طلبته منكم

– سيدتي والدي مريض يلزم الفراش

– سيدتي أبي عاطل عن العمل

– أمي لم تبع الخبز ولا جدائل الحلفاء

– أبي لم يعد من سفره وأخي مريض

... . الجفاف قتل الزرع ، بدد البقر ، خنق الغنم وأمتص الغلال ونحن جائعون

رقصت دمعة وتدحرجت أخرى وسرت فوق وجنتها ، يا كم تشرد الفقر في جوارح

هذا القسم المحطم !

– يا أنسة تتعمدين كسر النظام داخل المدرسة التبرعات أولاً لتتقضى القسم من

الدمار المترصص والخلاء الأكيد .

– لا بأس يا سيدي المدير اخضع المبلغ من راتبي وليقوم القسم وتقوم الجنة لم

يترك لك الفقر من الأطفال إلا العيون الضامئة والصدور المرتجفة .

خضع الراتب مرتين على التوالي ولم يصلح القسم .

– يا سيدي ، الأطفال يرتجفون من البرد وداخل صدري فرن من الورم يلسعني

وصداع برأسي يستقر ، فمتى يصلح القسم

– غداً يا أنسة

ياه ما أبعد هذا الغد انتظره بشوق الحقول ليوم مطر وإن يأتي ، أعرف جيدا أنه لن يأتي يتباطىء في كسل فيستريح لنفسه شنقي واغتيالتي .  
الثلج يشاطر الطفل مقعده والبؤس يتأمر مع الاملاق لاقتسام جينة قديمة وخبرًا كالحا يرقد بالمحفظة الخاوية .

– وعدت أبي بأن أعيد بناء البيت المهدم وأحمل أمي للطبيب لتعالج الداء القديم وأشتري لأختي زجاجة عطر ، وعدت قديمي بأن أعتقها من الألم والحذاء ياه يا أمي لو ترينني، ألم بالمفاصل يقهرني وصداغ وسعال وحمى تترىص بي كلما اختليت بالفراش حلما بالزواج والبيت السعيد والأطفال لا يزال بقائمة الانتظار .

– مات والد طارق تلميذي النجيب فتبرعت لهم براتبتي ! كتاب القراءة مفقود فاشتريته من راتبتي والمدير خصم نصف هذا الراتب ولم يصلح القسم .

أنوء بحملي يا أمي ... الرطوبة تثقب أروقة القسم وأنا أمضغ خوفي ولتبتلع شقاق الهوة المنترزة كوايس أثناء النوم تطاريني وحذاء فتقه المطر وادماء الحجر والطين أربعه وأنا أتمزق بين نبض مر قجل كالنوح مبعثر كقرايين آلهة منسية وبين أمل بالحب وجنة الأحلام الخالدة .  
<http://Archivebeta.Sakhsy.com>

يا سيدي المدير غرفتي لعب بها الفأر واحتلتها الرطوبة وراتبتي " معاق " فكيف أقسمه بين مدرستكم وعائلتي ، أرجوك يا سيدي المدير أن تصلح على الأقل القسم أو غرفتي .

– غدا يا أنسة اكتبني تقريراً موقعاً واتركيه فوق المكتب .  
غادرت مكتبه بيد فارغة وأخرى لا شيء فيها والتقرير كتبته أكثر من مرة والجواب لم يتغير ، غدا يا أنسة .

– ساكتب التقرير وأوقعه سأخط خطاباً لك أنيقاً يليق بمدرستكم الرائعة وبمقامكم الموقر ساكتب خطاباً ندياً عطراً سأحدث فيه بكل صدق عن مشاعري ، عن حياتي عن أحلامي ساكتب لك الحقيقة يا سيدي المدير ساكتب لك تقريراً مفصلاً فلقد انحلت عقدة اللسان :



سنة أعوام يا سيدي وأنا أنام جرحا وأستفيق قهرا  
سنة أوجاع وأنا أكضم رغبة مورطة وأرحل حيث تتسكع الزفرات  
سنة فصول من الاعصار رقصت فيها الدنيا بفتنتها وارتوت وانتعشت وأينعت ثم  
كلحت وجفت وتقرشرت وهمدت ثم تكدست كالبلور المشقق كالعسكر المنهزم .

سنة أعوام وأنا ألوك معك في جدل عقيم خرافة الشبابيك المحطمة والراتب المعاق  
سنة أحزان وأنا أشطب حاضري بانتظار غد يلوح بالمجىء وما زال يأتي أبحث  
عن فرح فأجده جرحا منعزلا في قلبي سكيننا غرس في الألق الدامي لا أنا قادرة  
على احتماله ولا على انتزاع وجعه ، الظلمة الدكناء والأحوال المتفجرة تصادرنني ،  
أو تريد تقريراً عن غرفتي عن فني عن نوقي ؟! .

نسيت الرسم والموسيقى وكرهت الغناء وجهلت مبدأ الموضة .  
في قبوري ، .. في ززائتي ... أقصد في غرفتي لا أسمع إلا همس الجوع  
وشوشة الصراصير آخر سمفونات الذئاب الناقمة أشباح لصوص خانقة وعويل  
الخرفان الثائرة . أينعت معنى " الديكور " وقوانين النظام الذي قرأت عنه في الكتب  
ورأيت في المجلات الثمينة ، سناظر غرقتي لوئها الدخان المسروق في موقد مات  
منذ سنين ، سافرتي يتربع فوقها فنجان شاي مريض سكر بلا طعم ، فول يتحرك  
خبزا عليلا وزيتا خالفا ، سريري تلوئه الهواجس وتترصده الاضغاث والكوابيس  
المرعبة أوتود بعد الغناء تقريراً يا سيدي المدير ، سأقرر الرحيل عنك وعن مدرستك ،  
سأترك الأبواب المشققة والقناديل الخافتة سأقيل نفسي من مهمة البحث عن خدعة  
تدعى الارتياح ، سأترك لك الحجرة تغوص في بحر الصراخ ، سأترك لك مسرح  
الوعود الخائبة وأحمل نفسي أو بعض ما تبقى من ذكريات دافئة وأخرج ، سأترك  
لك الأطفال فكّن رقيقاً معهم وإذا ما صادف ولحت في عيونهم نرف ، حذق جيداً  
ستجدي هناك مكتوفة اليدين أسفة يا سيدي المدير أن كان تقريري ساخطاً ، فقلد  
أطلقت سراح الكلام الذي اعتقل بداخلي منذ انهزام أوراق الشتاء .

لك سيدي تحية غريبة المسعى والمقام لكم ما بالقلب من احترام ولكم خالص الأمنيات .

تقديم كتاب :

## في الخطاب السردي ( نظرية قريماس )

« لحمد الناصر العجيمي »

بقلم : عبد المجيد يوسف

في الخطاب السردي كتاب لحمد الناصر  
العجيمي صادر عن الدار العربية للكتاب  
ضمن سلسلة " مساءلات " التي

ينشطها الأستاذ توفيق الزبيدي .

سنة 1993 في مائة وأربعين صفحة من الحجم الصغير. فالأثر الذي نقدمه ،  
من حيث هو " كتاب جيب " عملي ومرافق خفيف الحمل رغم طابعه الأكاديمي ..  
ذلك أن مؤلفه اجتهد في التوفيق بين المنحى " التعليمي " وما يقتضيه من وضوح  
وإيجاز وبين استيفاء مواصفات العمل العلمي من أمانة وصرامة في النقل  
والإحاطة بجوانب النظرية المنقولة .

ويوضح المؤلف غاية عمله في المقدمة وهي " بسط نظرية قريماس وتحكم فكره "  
لذلك فإن عمله ليس ترجمة لأثر محدد لأن قريماس لم يضع نظريته في أثر واحد  
مما حدا بالمؤلف إلى جمع شتات هذه النظرية من مصادر مختلفة ومتنوعة منها ما  
هو نظري ومنها ما هو تطبيقي ... وثمة مصدر ثالث هو الدراسات النظرية  
والتطبيقية التي أنجزت حول قريماس وبمنهجه .

لكن تنوع المصادر هذا لم يكن من شأنه أن يسهل مهمة المؤلف بل عقدها لأنه

الدلالة تحيط بنا وتختارقنا نؤذيها  
وتفصح بنا ومن خللنا وزبنا  
بالرغم منا . ثلثها كثيفة خذلة لثقتنا  
نكتشف أنها سراب خادع ويرق غلب .  
تهدد حاضرة وغائبة في آن سهلة  
عصية مستسلمة معقدة . نحسب أننا  
وقلنا على حدودها وما إن نعاكف  
عليها لاستيعابها والنفاذ إلى بؤرتها  
حتى نلأى عنا مثالية عصية راقصة  
الانقياد وتسليم مقاديرها إلينا .

ردم 1 : 1 - 131 - 10 - 9973

ARCHIVE  
http://www.archive-beta.com

وجد في هذه الدراسات اختلافات في إقامة هيكل النظرية ومراحلها وإدراج مفاهيم ضمن هذا المستوى أو ذاك من مستويات الدراسة .

كما واجه المؤلف صعوبة أخرى تتمثل في زخم المصطلحات وقلة تداولها عند المختصين العرب ، فكان على المؤلف أن يعوّل على نفسه في نقلها ، ناقدًا خلال ذلك بعض الدراسات المنجزة في الميدان ، وعلى الجملة فإن المقدمة أحاط فيها المؤلف بـ " وضع المسألة " *etat de la question* وهو عمل ضروري لأي إنجاز نظري حين يكون العمل منطلقًا مما هو حاصل لا منطلقًا من صفر ، بحيث يكون مواصلة لما أنجز وقد انقسم الكتاب إلى بحث نظري متعلق بعلم الدلالة في منطلقاته وحدوده ومناهجه ووظيفته ، ثم تدرج إلى نظرية قريماس في جزئها : المستوى السطحي والمستوى العميق .

### علم الدلالة : المنطلقات والحدود .

يستعرض المؤلف تاريخ علم الدلالة منذ منطلقاته في الستينات كردّ فعل على الاتجاه الشكلي الذي يحصر قيمة الأدب في الشكل ويقصي الدلالة لأنها لا تستجيب للهيكله ويحيل الاهتمام بها إلى علوم أخرى علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الجمال ... وينتهي المؤلف من خلال استعراض التناقض الذي رصدته جاكبسون في قولهم بانتفاء المعنى وبالغاية التأثيرية الاقناعية للأدب إلى التعريف بعلم الدلالة من حيث هو مشروع يرمي " إلى تأسيس وعي بنيوي للاستقراء الدلالي أي وصف القواعد العامة لانتاج المعنى الإنساني وصفا دقيقا " (\*) ويلاحظ المؤلف أن علم الدلالة ما زال حتى الآن علما إشكاليا لم تضبط حدوده بصفة نهائية نظرا للتداخل بينه وبين علوم إنسانية تهتم هي الأخرى بالدلالة ويتركز حقل عملها داخل المعنى ، أمام هذا الإشكال الابستمولوجي يطرح المؤلف طائفة من الأسئلة هي في الأصل افتراضات أو مشاريع سبيل إلى مراودة الموضوع أو مقاربتة .

### المنهج :

يلحظ الكاتب أن السبل المؤدية إلى الاستقراء الدلالي متعددة في الظاهر ، لكنها في الحقيقة متقاربة لانطلاقها كلها من المنهج اللساني رغم كون علم الدلالة جاء ردأ على النزعة اللسانية في معالجة الأدب ، فانفصال علم الدلالة عن اللسانيات لم يؤد إلى قطيعة إبستمولوجية . ثم يثير الكاتب العلاقة " الزمانية " بين اللسانيات وعلم الدلالة : أيهما الأصل وأيهما الفرع ؟ ويورد في ذلك الخلاف الذي قام بين ف دي سوسير و ر بارط : فقد اعتبر الأول أن اللسانيات فرع من علم أوسع وأشمل هو علم العلامات وما النظام اللغوي إلا واحد من أنظمة سيميولوجية متعددة . أما الثاني فقد اعتبر أن علم العلامات المنتبأ بنشؤنه سوف يكون فرعاً من اللسانيات ، ويقرر المؤلف هذا الاختلاف بالمفارقة في الأسس والغايات بين الرؤيتين وينتهي إلى رؤية تأليفية متمثلة في حصر وظيفة علم الدلالة في " إبراز حركية الدلالة وإعادة بنائها ... وذلك ... بتعيين الوحدات الدالة وتنظيمها وفق سلم تراتبي » (2) .

مثل هذه الوظيفة أدت إلى رصد المجالات المشتركة بين اللسانيات وعلم الدلالة مع التأكيد على استفادة الثاني من الأول في : \*  
 ARCHIVE  
 المعنى شكل وليس مباداة مستقلة تعكسها اللغة وأن ما نحصل عليه من جرأء الدراسة والتحليل ليس إلا " أصداء دلالية "

\* الدلالة خاضعة إلى نظام ، شأنها شأن اللغة ، أي أنها متكوّنة من وحدات تنتظم فيما بينها بعلاقات ، واستجلاء الدلالة لا يتم إلا بتفكيك هذا النظام ، بوحداته وعلاقاته .

\* الدلالة ، شأنها شأن المعارف الدقيقة والموصوفة " بالعلمية " تقتضي منهجا ، منه تقسيم الدراسة إلى مستويات وضبط المدونات التي ستعتمد في استجلاء الدلالة والالتزام أثناء كل ذلك بمبدأ الافادة Pertinence

ويمكن تلخيص هذا المنهج في ما ضبطه قريماس : من الاستقراء الذي يرمي إلى الاحاطة بالعالم الموصوف والتحليل الذي يقتضي للوفاء للمثال النموذجي المنسحب على مكوّنات المدونة (3) .

إن مشروع دراسة الدلالة يتمثل في الإجابة عن السؤالين التاليين :

- كيف تصبح الدلالة ممكنة متجلية في الابداع الصادر عن ذات واعية .

- ما هي الأنظمة والقواعد المتحركة فيها بالمؤسسة لها ؟

والملاحظ أن مثل هذا المشروع قد يقتضي التداخل بين عدة فروع معرفية منها ما يتعلق بالاجتماع أو بالنفس ... لذلك حرص المؤلف على إقصاء هذه المعارف أو الاهتمام بهذه المعارف من اهتمامات المحلل المعتمد لمنهج قريماس ، وحرص المؤلف على إقصاء هذه المعارف أو الاهتمام بهذه المعارف من اهتمامات المحلل المعتمد لمنهج قريماس ، وحصر اهتمامه في البحث في انتاج الدلالة وتوليدها استناداً إلى نظام الوحدات المكوّنة له . (4) . كما ضبط حدود الدراسة الدلالية بكونها :

- إثنية : تلتزم النص وتتقيد به .

- غايتها هي ابراز آليات النص في انتاج المعنى

- منهجها هو كشف شبكة العلاقات القائمة في صلب النص وفنون الوحدات الدالة .

ثم يتدرج المؤلف إلى بسط الوحدات القابلة للانضمام إلى شبكة العلاقات المولدة للمعنى حسب نظرية قريماس وهي :

1 - المستوى السطحي ، وهو متكوّن من مكوّن سردي يقوم على تتبع سلسلة التغييرات الطارئة على حالة الفواعل ومكوّن تصويري مجاله استخراج الأنظمة الصوريّة ( التصويرية ) (5) .

2 - المستوى العميق : يهتم بدراسة البنية العميقة استناداً إلى نظام الوحدات المعنوية الصغرى أو ما يقابل التركيب الوظيفي النحوي ( الجُمْل ) .

ثم ينقسم التأليف إلى تفكيك هذين المستويين إلى مكوناتهما مما يؤسس منهجاً دقيقاً مضبوطاً يمكن لمحلل القصص إتباعه وتطبيقه بأمانة ودقة ثم يشفع التأليف بنموذج تطبيقي على نص : الأرناب الفيله المستقى من كلية ودمنة .

- ونسوق في ختام هذا التقديم ملاحظتين قد يكون السهو المطبعي - أو البشري -

سببا فيهما ، الأولى متعلقة بالإحالة (44) الموجودة بالصفحة 29 حيث ترجمت :  
Semantique Structurale بـ البنيوية الدلالية .. وما دام مرجع المؤلف  
مكتوبيا بالفرنسية جزمنا أنه أراد ترجمة العبارة الفرنسية فيصيح الصحيح حينئذ  
أن يقول " الدلالية البنيوية " لا العكس .

والملاحظة الثانية تبدو أكثر خطرا لأنها متعلقة بالمصطلحات المقابلة للمفاهيم . إذ  
ذكر في الإحالة رقم 30 ص 21 قوله عن علم الدلالة « يطلق على العلم نفسه  
تسمية " العلامية " ترجمة للمصطلح الغربي Semiotique Semilogi »  
والملاحظ أن كلا من المصطلحين اللاتينيين مترادفان لكنهما لا يدلّان على علم الدلالة  
بل يدلان على طريقة أداء الدلالة أي على ما يناسب الشكل . أما علم الدلالة فيقابله  
بالفرنسية Sematique

- إن هذا المؤلف يعدّ عملا أكاديميا لا تصافه بصفتين أساسيتين : الدقة العلمية  
في نقل نظرية متشعبة ، وتطبيقية في أن « والثانية هي صيغته التعليمية ، ولا  
شك أن طلاب الجامعات يحتاجون هذا الكتاب في دراسة المناهج كما يحتاجه نقاد  
الأدب في تطوير مناهجهم وتنويع رؤاهم لكنه أي الكتاب كان من أفضل لو اشتمل  
على :

\* مسرد للمصطلحات التي ذكر المؤلف أنه جمعها أو اجتهد في ترجمتها  
تعريف بالأعلام المذكورين في الإحالات .

---

الإحالات :

- ص 23

2- ص 26

3- ص 29

5- ما يقابل مقولة الوصف في النقد الكلاسيكي أو " المنجزات " في منهج بارط .

# الأقلام الواعدة

إعداد الأستاذ : عبد المجيد زين العابدين

لغة نور رئيسي في نجاح الأعمال الأدبية ونسبة توفّقها إلى الاقتراب من القلوب والعقول معا ورقّيتها إلى مستوى الإبداع والتألق سواء كانت هذه الأعمال نثرية أو شعرية ، ولئن تعدّدت مشاكل العصر وتطوّرت وسائله تطوّرا من سلبياته تقلص فرص المطالعة واعتماد الكتب والاكثفاء بالمرئي والمسموع ، فإنّ كل هذا لا يمكن أن يكون مدعاة إلى التخلّي عن الاجتهاد في إفراز لغة لها ألقها ولها جزالتها كما لها رونقها في تأدية المعاني تستقطب الانتباه والاهتمام وترغب في التطلّع إلى المضامين .

نجد ظاهرة تغليب المعاني على الأداة التعبيرية خاصّة لدى الشباب ، هؤلاء الذين يذهب إلى ظنّهم أنّ العنصر الأهمّ في انتاجاتهم إنّما هي أفكارهم ومشاعرهم ومواقفهم بينما يحلّون اللغة محلّاً ثانوياً وينظرون إليها نظرة باهتة فاترة في الوقت الذي تتحمّ إعارتها مكانة هامّة في الكشف عن قدراتهم ومواهبهم ، لا نخلط إذا قلنا إنّ اللغة هي بمثابة اللباس بالنسبة للمضمون ولا بدّ أن يكون هذا اللباس نظيفا واقيا قويا منسجم الألوان منسقها حتى يتمّ بحقّ عن قيمة لابسها ألا وهو المضمون ، وبالتالي يقع القبول عليه واكتشاف ثرائه بكل الأمل في أن يجاهد مبدعونا من الشباب أنفسهم ويفرّزوا أعمالا تنمّ عن قدراتهم الفكرية واللغوية على حدّ سواء وليس ذلك عليهم بعزيز إذا تحلّوا بشيء من الصبر والمثابرة والإحساس بواقعهم ، يرون من خلال اجتهادهم إلى مستقبل مشرق وكلّه إبداع .

\* إلى الشاب فيصل عبد السلام أصيل القيروان :

إنّ نصّك المنظوم والموسوم بعنوان : « ظلّمت الروح والقلب » يتمّ عن مؤهلاتك ما زالت خفية كامنة في أعماق ذاتك ، أمّا من حيث الوزن ، فقد جاء نصّك هذا على

بحر الهزج وقد حرصت على تقسيمه إلى مقاطع كل منها يتكوّن من أربعة أبيات وتختلف القافية من مقطع إلى آخر وقد أظهرت اقتدارا على الالتزام ببحر واحد وعدم الخروج عن محمل أجراسه إلا أنك لبلوغ مرامك من هذه الناحية لم تحف تعسفك على الكلمة في أكثر من موطن ولا يبدو أنك تبحث عن مدى جزالتها واختزالها للمعاني التي تريد التعبير عنها وتصويرها وهذه الظاهرة التعسفية على الجانب التعبيري هي التي أفقدت أغلب مقاطع نصك المنظوم قيمتها المضمونية .

أكتفي بإدراج ثلاثة مقاطع من نصك هذا ، وهي تُعدُّ مؤشرا على قدراتك المستقبلية إن رمت الإستفادة من النصيحة والتوجيه وحرصت على السير في هذا الدرب الطويل

### << ظلمت الروح والقلب >>

سمعت الصوت يدعوني      وكل القوم ينهاني  
فما فعلني وما منعني      وأنت اليوم تنساني؟!  
كأنني اليوم قد مت      ولود القبر يفشانني  
فرغم اللحد والوخز      أمانني الود ترعاني  
\*\*      \*\*

سلاما حين ألقاك      حبيب الأمس واليوم  
وحين الدُفر يدعوني      لبحر العشق والعموم  
وحين الذُكر يأتيني      فريد الذات واليوم  
فقلولي ليس في عشقي      عروض الجفو والصوم  
\*\*      \*\*

تركت الأهل والبيت      لأحيي ذاكرًا أمسي  
ومن ذكراك يا ويلي      تزيد الحزن في نفسي  
فكيف اليوم تنساني      وأنت الأهل في بقسي



ألا انظرُ كيف يغشاني بياض الشعر في رأسي  
\* إلى أبي وضاح :

يا أبا وضاح إنَّ لك نزعة إلى قرص الشعر الخليلي وهذه ظاهرة إيجابية داعية إلى الاعتزاز بها وبصاحبها إلا أن هذا الوفاء للبحور الشعرية القديمة يستدعي منك قدرة على التعبير والافصاح عن أفكارك وخوالجك وليس يأتي لك ذلك بالعفوية التي تتخيلها بل عليك بمطالعة آثار شعرية جيدة حتى يُتاح لك بلوغ هذه المرتبة ، أما من ناحية المضمون فقد عالجت ظاهرة زواج الشاب الفقير من الفتاة الثرية وحاولت أن تدفع القدرات الوجدانية والفكرية إلى مستوى القدرات المالية في منظور المجتمع إلا أنَّك لم تخرج عن مدار السجل التقليدي ولم تكذ تضيف إليه جديداً ، وهذا لا يمنعني من انتظار أعمال شعرية لك متألقة إذا أنت حسُن إقبالك على مطالعة جيّد الأشعار ومحاولة إلقاء نظرة فاحصة باحثة في مناخ المجتمع الذي تعيش في أكنافه مع الوقوف على أهم نواقصه .

أدرج لك من نصك المنظوم والموسوم بعنوان : « قالت فقلت » ما يلي من أبياته .  
http://ArchiveData.Sakhrat.com  
« قالت فقلت »

.....  
ما بال دنيانا أصبحت جائره ؟  
يطمع في كسب درّة نادرة ؟  
مجنّح شهم عينه ساحره  
وكم له من سيّارة فاخرة  
فكلّ عين لسحره ناظره  
محروسة مثل الوردّة النّاضره  
له بنوك بماله عامره  
زارت فرنسا للحرّة العاشرة

قالت وفي العين نظرة ساحرة  
حتّى المساكين يعرفون الهوى !!  
أمعدّم مثل ما يرى ناظري  
إنّ الذي قد عشقته فارس  
له من المال ما يفوق الحمى  
والبحر قد زاد قصره رونقا  
فاعلم أخا البؤس أنني تحفة  
أبي ثري وصيته ذائع  
أمي كما قال القوم رحالة

ألسـت إن أرض صفقة خاسرة؟

\*\*\*

لا سامح الله طفلة غاوية  
لديّ أغلى من درّة فانيّة  
ما لك أختاه مثلهم ساهية؟  
قصر تحلّى جذرائه قافية  
ولي أتان وكلبة عاوية  
ووالدي الفلاح له سانية  
ولتذهبي والهوى إلى هاوية.

هيا أجيني يا من ظلمت الهوى

\*\*\*

قلت وفي القلب حرقا كاوية  
إنّي وإن كنت معدّما فالذي  
هل تخلص الأغنياء أموالهم  
في كل بحر هل عندهم مثلنا  
ولتعلمي أن مسكني خيمة  
أمّي تربس الدجاج في كوخها  
أنا سعيد : جنتي البادية

\* إلى الشاب "فريد" وهي أصيل بوعرادة .

نصك الممهور بعنوان : « موعـد لمجنون » لا يخلو من وهج شعري إلا أن حدة الخطاب فيه لا يجب أن تخرج عن القمط الفكري المألوف ، ولئن كانت هذه الحدة تنطوي على بنور تجديد في الأفكار والرؤى فإنّه بإمكانك في هذه المرحلة أن تغير عن ثورتك بالفاظ ثائرة إلا أنّها غير داعية مستمعها إلى الانزعاج أو الامتناع .  
أنشر لك هذا النص بعد تنقيحه .

« موعـد لمجنون »

قفي هنا

تسمري

تأملكي المكان

بقرب الهاوية .

ألا تشعريـن

كم مرّة قلت لك

إرحلي من هنا

تجنّبي الحبّ هنا  
إسالي عني الجنود الأواهل  
إسالي عني النساء  
وطالعيني في القصص  
والحكايات

أنا

أسطورة في بلدي المعاصر

أنا

عسكري بكامل السلاح

تائه

أنا

القلق

ARCHIVE أنا

<http://Archivebeta.Sakh> القصيدة

أنا القصيد وبحر

القصيد

عودي عودي

من حيث أتيت

فهل ما زلت تبحثين

عن تفسير لمأساتي ،

\* إلى الشاب شوقي حسن أصيل سليمان .

إنّ خاطرتك الممهورة بعنوان : « هجر ثم ... عودة » لنن لم تفرز مواطن جدّة  
مضمونا وأسلوبا إذ أن الموضوع المطروق يتمثل في التغيرات والهجرة سعيًا وراء  
الشغل وضمان حياة كريمة أمّا الأسلوب فاستطراذي يغلب عليه الوصف ، ترد

الجمل فيها خفيفة متناسقة ولا يخفي جنوحك من خلالها إلى الخيال . بيد أن الذي يوحى بإمكان إشراقة قلمك مستقبلا إنما هو استقامة لغتك وصفافيتها وقدرتك على التخيل القريب إلى الفكر والقلب .

أدرج لك في هذا الحيز نصك هذا بعد تنقيحه .

### « هجر ثم عودة »

عهدتك بقربي ، أراك متى أريد ، أشكوك همّي أرتاح إليك ، أناجيك . كل لقاءتنا كانت دروسا في التواضع في الأخلاق ، في الرومنسية ، في عالم الجواهر وفي علوم الكلام ...

وتأتي بعد كل هذا لتلقي على مسامعي خطاب الوداع دون تحديد لمصيري من بعدك ، ترحل عزيزي إلى حيث ساقطت الأقدار ولتقل إلى حيث ساقطت « الخبزة » تاركا وراءك نداءات ودعوات وصلوات ،

... فما كان سهلا عليّ رحيلك ...

أو تعلم كيف أرى الدنيا من بعدك ؟

لكنّ الشمس ذابت في بحر الضباب وعدت على الدنيا أمواج الظلام . فامتدّت يداي تناجيان يديك في حركة كأنهما ترومان من خلالها نشر راية السّلام . فلا يداك تشدان يديّ وليس أمامي سوى الكلام . كلام رقيق من وراء صمت عميق يبدّد في الأفق ألوان الحريق فلا صديق ولا رفيق بل سراب وسحاب ثم ضيق ...

تهت ، احتار دليلي كأنّي شارداً في وسط الطريق ...

ها إنّ الزمان يدور دورته وما أنا أراك اليوم وأنت تحمل حقائبك وكتبك لتعود إلينا لكنّما أنت بذلك تنقذ الشمس من الضباب وتمحو عن دنياي ذاك الظلام وتوقد الشموع وتكفكف الدموع وتبعث البهجة في بساتين الفرح لأهديك منها مزهريّة وقبلة على الجبين متعاهدين على المحبة والوفاء والصفاء .

\* إلى الشابة ريم الهرماسي الطالبة بتونس

خاطرتك : « جواز عبور » نصّ أدبيّ توفّر فيه عدة مؤشرات إيجابية للكتابة

القصصية من ذلك توالي الجمل الوصفية في انتظام وتساقق وحسن الاهتداء إلى إقامة مقارنات ومقابلات في المعاني فضلا عن عنصر التشويق واستقامة اللغة وسهولتها في غير ابتدال ، بإمكانك الاستمرار على هذا النمط من الكتابة تُشر لك هذه الخاطرة بعد تصويب مواطن الخطأ فيها .

### « جواز العبور »

كانت تعبر المكان وتخرق الزمان وكان جواز عبورها هو " البحث " كانت الرحلة وكان البقاء كما كان الرحيل وبين الرحيل والبحث كان اللقاء . هو لقاء لم تتق إليه أبداً لأنها إن كانت هي الأرض فهو السماء وإن كانت هي القطرة فهو البحر وليس لديها جواز عبور .

كان أن طوّقت نفسها بأغلال من حديد من الصعب فكّها لا من أجل شيء غير الحصول على جواز عبور حتى يكون اللقاء مشروعاً .

كلما حاولت النظر كانت الرؤية معتمّة وكلما حاولت المعرفة كانت الحقيقة مؤلمة لأنها إن كانت هي الثريا فهو الشراء وإن كانت هي الممكن فهو الإمكان وغير هذه المراحل ما زالت المستحيلة قائمة الذات والبحث مستمر وأمل العثور على ذاك الذي سمي بمشروعية اللقاء أو محطة التوازن كانن بل أستطيع أن أذهب إلى القول بأنه قابع في ذاتها يحثها بين الفينة والأخرى على ضرورة التجاوز لغاية إثبات وجودها ، وكذلك يحثها على ضرورة الهدم لغاية البناء وكل ذلك في سبيل جواز العبور ومشروعية اللقاء .

كانت الرحلة وكان البحث وبين الرحلة والبحث لم يكن في الواقع لقاء بقدر ما كان هجرٌ ولم تكن هناك ابتسامة بقدر ما كانت صرخة ولم يكن هناك إثبات بقدر ما كان نفي .

لقد بات جواز العبور مستحيلاً واللقاء غير مشروع في ظل هذا القانون ألا وهو قانون النفي .

\*وختاماً أودعكم أصدقائي الأدباء على أمل اللقاء بكم في حلقة قادمة

## حبيبتي ودرس النحو

### ١- كان وأخواتها

#### بقلم : جمال الشرادي

ونحن في أوج الحبّ تطلب منّي حبيبتي أن أعلمها القراءة ... هي متعلّمة لكن الدلال وطاعتي لها يجعلان منها أُميَّة غارقة في أُميَّتها حين تريد شقائي .. وإشقائي ..

هذه المرّة طلبت مني بل أمرتني بدرس في النحو ..

هي تبحث دائما في الماضي ... نعم هكذا يُشقيها الماضي والحالك منه خاصة ولأن ماضيّ قاتم فلقد طالبتني بدرس عن الماضي وأحوال الماضي وأفعال الماضي وأسماء الماضي وجيبيات الماضي حتى ... كان عليّ أن أستجيب لها ... هي حبيبتي وأحبّها وليس لي إلّا وجهها والماضي ... فبدأت ... أنا أجهل عباد الله ومع ذلك سأحاول إرضاعها حتى لا تغضب ... أعوذ بالله من غضب حواء وسخطها ... حواء لو غضبت هي كل إعصار الطبيعة وضراوتها ولقد كانت حياتي كلها مسرحاً لعواصف حواء ومزاجها واضطراباتها ... ونحن نتحدث عن المسرح فإن الماضي هو مسرح الأحداث التي جدّت قبل هذه اللحظة التي نحن فيها وهو ذلك الحيز الزمني الذي فات ومضى ولا يمكن أن يعود ولا أن نعيده ... وعليه فكل الأحداث التي جدّت في الماضي لا يمكن إعادتها أو إستعادتها فالعرب مثلاً لا يمكن أن سيعيدوا الأندلس حتى وإن سخّرنا لذلك كل كاميرات الإرتدادين الزمني والفضائي ...

فقط هي مسجلة لدينا ويمكن إستعراض تواريخ أحداثها وذكر أسمائها ...  
والقد فتحت ملفات الماضي لأراجعها فالفيتُ قائمتها تطول فقرأت منها بعض  
سجلاتها البسيطة والتي لا يمكن أن تصادرها الرقابة فوجدت قائمة كان :  
كان لنا وطن ..

كان لنا مجد ..

كانت لنا أرض ..

كان لنا عرض ...

كان لنا قدر ...

كان لنا سيف ...

كان لنا شأن ...

كان الوطن واحداً

كان الجسد واحداً

كان الجرح واحداً

كان الوجع واحداً ...

كانت الهوم واحدة ..

كانت النوايا واحدة ...

وكانت الآمال واحدة ...

وكان ليست الوحيدة في العائلة غير أنها من دون أخواتها صعبة المراس وهي لا  
تتراجع في قراراتها إلا نادراً لذلك هي تميل لشقيقتها - ليت - لإستحالتها أيضاً ،  
وليت عادة ما إقترنت بأحداث مستحيلة كأن نقول مثلاً : ليت الشباب يعود يوماً ...  
والمسجد الأقصى يعود يوماً ... والقدس تعود يوماً ... والمجد يعود يوماً ...  
والعروبة تعود يوماً بأصالتها ... والعرب يتفقهون يوماً ... وغرناطة تعود يوماً ...  
والضاد تُصان يوماً ... والصحافة تصدق يوماً ... والرقابة ترحم يوماً ... والخوف  
يخاف يوماً ... والإعلام يشعر يوماً بمسؤوليته والأفكار تتحرر يوماً ... وبعض

العقول تؤمن بالتغيير يوماً ... وبعض المطبول تكف عن القرع يوماً ... وأهل  
الحضرة يستفيقون يوماً ويخرجون من نوبة المذائح لمن لا يساهمون في التحول  
والنهوض ... وليت لي مصباح علاء الدين وسيف صلاح الدين ولسان حسام  
الدين \* وشعر جلال الدين وفكر جمال الدين فأعيد ما ضاع وما يضيع من الدين  
في أرض الدين فأبكي الدين وما يحدث بإسم من سفك دماء بإسم الدين وقتل  
باسم الدين وحرق باسم الدين وقتل بإسم الدين ونهب بإسم الدين وتشريد بإسم  
الدين ونفاق بإسم الدين فأستعيز بالله من غضب الله وغضب الدين ..  
ولأن حبيبتي لا تريد الحديث في اللاهوت فلقد قاطعتني مضيضة بعض الجمل  
بليت فقالت :

لينك لا تحب بعدي ... ولا تفكر بعدي ... ولا تعشق بعدي ولا تنظر لإمرأة بعدي ...  
ولا تكتب الشعر بعدي ... ولا تبسم لإمرأة بعدي ... وهنا ضحكك وقلت لها : ليت  
حواء تفكر بعقلها يوماً .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

